شِفاءُ الرُّوح

لِلمَرِيضِ وَالمَجرُوح

أبوطلحة محمّد يونس بن عبد السّتار
نزيل المدينة المنورة (زادها الله شرفًا)
(مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ منزل ٨٣٨٠٥٣٧)

«(فهرس الكتاب)»

الموضـــــــوع	ص

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

فضيلة الشيخ عبيدالله محمد أمين كردي - حفظه الله

الحمد لله على نعم الله ، الحمد لله على فضل الله ، الحمد لله على جلال الله وعظمة الله ومغفرة الله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأكرمنا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

اللهم صل على سيدنا محمد سيد الأبرار وزين المصطفين الأخيار واجعلنا بالصلاة عليه من الفائزين الناجحين ، ولحوضه من الواردين والشاربين ولسنته من العاملين ولا تَحُل بيننا وبينه يوم الدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مالك يوم الدين له الأمر والنهى وإليه يرجع الأمر كله ، أوجدنا من عدم ، ووالى علينا النعم وجعلنا من خير الأمم ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وسلك بالأمة مسلك سعادة الدارين فاجزه اللهم عنا أفضل ماجزيت نبيا عن أمته وأجمعنا به في دار السعادة وفي الفردوس الأعلى .

أما بعد ! أخي القارىء من ذكر وأنثى ! فلقد تصفحت هذا الكتاب الذي أقدم له وهو بين أيديكم بعنوان «**شفاء الروح**» لمؤلفه أبوطلحة محمد يونس عبدالستار ، وقفت على كلماته وجمله وعباراته ، وظهر لي وتبيَّن أن مؤلفه إنما أراد به أن ينفذ ويتمثل قول الحق سبحانه وتعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ، لأن مادة هذا الكتاب وإن تشعبت مواضيعها إلى حدما فإنما يجمعها شيء واحد ألا وهو الصبر ، وليس الصبر المقصود هنا هو الصبر المتعارف عليه بمعنى التحمل ولكن المقصود به هو الصبر الذي يمثل معنى الثبات مع الله سبحانه على كل حال في الشدة والرخاء وفي السراء والضراء ، ثم الرضى بهذا الثبات وهذا لعمري هو البلسم الشافي لكل بلاء ينزل بالأرواح والأجساد ، فأي شفاء أعظم من أن تستشعر أن الله معك ، حيث أنك وكلت أمورك عليه ، واسندت نفسك إليه وجعلت كل شيء منك مصيره إليه فقلت : (إنا لله وإنا إليه راجعون) منه صَدَرنا وإليه الورود ، وهو معنا إن نحن صبرنا

وصابرنا (إن الله مع الصابرين) ، معية الله شفاء من كل بلاء ، ودواء لكل داء ، وهي خير زاد في دنيا الفناء لعالم البقاء .

لقد أراد المؤلف وفقه الله وجزاه خير الجزاء بهذا الكتاب أن يربط إخوانه المسلمين على كل حال بالله ، في حال القبض والبسط وفي حال الدخن والصفاء ، فيعيشوا دنياهم هذه أرواحا جوالة لله وبالله وفي الله ومع الله (واصبر وما صبرك إلا بالله) (إن الله مع الصابرين) (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) .

لقد ذكّرنا المؤلف وفقه الله في كتابه هذا إلى مايجب أن يكون عليه المسلم في حال صحته وحال مرضه ، ومايجب أن يحمل من الزاد لدنياه وآخرته ، وقد انتخب لذلك جملة من آيات الكتاب العزيز ، وطائفة من الحديث النبوي الشريف ، يتبع كل ذلك بنماذج مما صح عن الصحابة والتابعين ، وكذا العارفين وسلف الأمة الصالح في تطبيق توجيهات الكتاب والسنة في هذا الباب .

وقد نحا في كل ماذكر نحو منهج الأمانة في النقل فكان يشير لكل رواية إلى راويها ولكل قصة إلى مصدرها ، وإذا استنبط أحكاما بناها على ماستقصى من اطلاعه على كتب الباب ، وقد يورد أحيانا من الروايات ما لا يرقى إلى درجة الصحيح إلا أن عزاءه في ذلك ومسوغه هو أن إيراده لها كان من باب الاستئناس الذي يؤيد الصحيح المقصود ولا يُخلُّ بالمنشود ولم يكن من باب الاستقلال بالحكم أو الاستدلال بالضعيف لذلك فإنه حين يورد قولا من ذلك يتبعه بما هو أثبت منه ، كما أن المؤلف دأب على إحالة الأقوال إلى مصادرها كي يستزيد من أراد التوسع في أبوابها .

ومجمل مايمكن قوله نحو الكتاب الذي بين أيدينا من زاويتى أنه مختصر مفيد في بابه يحسن بكل مسلم أن يجعل في مكتبته أو قل في غرفة معيشته نسخة منه تذكره إذا نسى وتنشطه إذا ذكر ، تكبح جماحه نحو الدنيا فتشده إلى الآخرة كلما أبعدته صوارف الزمن عن آخرته .

فأسأل الله أن ينفع به مؤلفه وقارئه والساعى على نشره ، وأن يعلمنا ماينفعنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

عبيدالله محمد أمين كردي
المدينة المنورة

بسـم الله الرحـمـن الرحـيـم

بين يدي الكتاب

لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد المسعودي حفظه الله
الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة

الحمد لله حمداً ينبغي لجلاله ، والشكر له على إنعامه وأفضاله ، نحمدك اللهم ونشكرك على نعمك التي لا تعد ولا تحصى ، وأعظمها نعمة الإسلام التي امتننت بها علينا ، ثم نعمك بالسمع والبصر والفؤاد والصحة والعافية والجوارح والحواس كلها واكتساب المنافع الحسية والمعنوية نعم تترى ، وفضائل لاتحصى ولانحصى ثناء عليك.

وقد جعل الله لهذه النعم بعض التمحيص والاختبار ابتلاء منه على شكر النعمة وزيادة في الأجر ، والمثوبة لعباده وتكفيراً لسيئاتهم ، قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) ، وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

وقال صلى الله عليه وسلم : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» . رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : «مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذىً ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه» رواه البخاري.

وقد جعل الله لنا حصناً نتقي به ، وملاذاً نفر إليه عند حلول المصائب والشدائد ألا وهو الصبر وهو حبس النفس وضبطها وإلجامها بلجام الشرع ، ومدح الله الصبر والصابرين في مواضع عديدة من كتابه وعلى لسان رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وأخبر أن في الصبر الفلاح والجمع بين خيرى الدنيا والآخرة فمن نتائجه وثمراته المخارج من المآزق ، قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

ومنـهـا : الظفر بالأعداء قال تعالى : (فاصبر إن العاقبة للمتقين) .

ومنـهـا : الظفر بالمراد قال تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) .

ومنـهـا الإمامة على الناس قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لماصبروا).

ومنها : الثناء من الله جلت عظمته قال تعالى : (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) .

ومنها : البشارة والصلاة والرحمة والاهتداء قال تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

ومنها : المحبة من الله تعالى قال الله عزوجل : (والله يحب الصابرين) .

ومنها : الدرجات العلا من الجنة قال تعالى : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) إلى غير ذلك من فوائد الصبر ومزاياه .

ولقد حسبتنى أترك المجال لصاحب المؤلف العظيم الرجل الفاضل الذي مابرح يطالعنا من وقت لآخر بحصائد أقلامه ونتائج أفكاره في أعظم ماتحتاجه النفس البشرية المتعلقة بالدنيا وملذاتها فينقلها إلى التفكر والتدبر والإقبال إلى الله سبحانه والدار الآخرة .

وها نحن نعيش مع هذا الكتاب «**شفاء الروح للمريض والمجروح**» نعزى أنفسنا بسير الصالحين والمحتسبين وكلام رب العالمين وهدي سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه مايحيط بنا من الأكدار والمصائب والأمراض ونوائب الزمان وطوارق الحدثان .

وحسب المؤلف ابداعه وجمعه لهذه الفرائد واقتناص هذه الشوارد ، وهي من أعظم العبر وأجمل الفكر ، وهي مشتملة على آيات ومواعظ قرآنية وأحاديث نبوية فيها الصحيح والحسن والضعيف الذي يحتج به أكثر العلماء في الرغائب والمواعظ وسير عطرة من سير السادة الفضلاء من الصحابة والتابعين والعباد والزهاد .

نسأل الله أن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وأن يجملنا ويزيننا بحلى الصبر والإيمان وبرد اليقين وغنى النفس عما في أيدي الناس والنظر والتعلق بما عندالله (ماعندكم ينفد وما عندالله باق) (والآخرة خيرٌ وأبقى) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدكتور : محمد المسعودي
الجامعة الإسلامية
المدينة النبوية
على صاحبها الصلاة والتحية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلِل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الموت محتوماً على جميع العباد ، فهو نهاية المرء وغاية الاقتصاد من دار الاعتداد ، قدَّر مقادير الخلائق وأقسامها ، وبعث أمراضها وأسقامها ، قضى فأسقم الصحيح وعافى السقيم ، وكم من صحيح مات من غير علة ، وكم من سقيم عاش حينا من الدهر ولا يأتيه الموت وهو الذي قسم عباده قسمين : طائع وطاغي وجعل مآلهم إلى دارين : دار النعيم ودار الجحيم ، فلا مفرَّ لأحد من الموت ولا أمان ، لقوله تعالى : ﴿كلُّ من عليها فان﴾ فسوَّى فيه بين الحر والعبد ، والصغير والكبير ، والغني والفقير: وكل ذلك بتقدير العليم الخبير ﴿وما يعمَّر من معمَّر ولا يُنقص من

عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ وقال قائل :

لو كان في الدنيا بقاء لساكن
لكان رسول الله فيها مخلدا

وما أحد ينجو من الموت سالما
وسهم المنايا قد أصاب محمدا
صلوات الله وسلامه عليه

فالكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والحازم من بادر بالعمل قبل حلول الفَوت ، والمسلم من استسلم للقضاء والقدر ، والمؤمن من تيقَّن بصبره الثواب على المصائب والنوائب والضرر .

ولما كانت المصائب والأمراض على اختلاف أنواعها من موت وغيره من نوائب الزمان خطباً مؤلماً موجعاً ، وأمراً مهْولا مزعجاً ، وردت الأحاديث والآثار بما لمن أصيب : من المقامات ، والمحتسب الصابر عليها ببشارة الجنات ، قال بعض السلف : لو لا مصائب الدنيا لوردْنا القيامة مفاليس .

فأحببت أن أجمع كتاباً مسلِّيا وشفاءا لقلوب المحزونين ومفرِّجا لكُرب الملذوعين ، وليكون سببا لسلوّ الشخص عن الدنيا ، ومرغباً له في الأخرى ، وسميته بـ«**شفاء الروح للمريض والمجروح**» ، فما كان فيه من صواب فمن الله ورسوله ﷺ ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان الرجيم .

والله سبحانه المسئول أن يوفقني لإتمامه ، بفضله وامتنانه ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أبو طلحة
محمد يونس عبدالستار

الباب الأول

المسلم يؤجر على المرض حتى الشوكة يشاكها

وعلى غير ذلك من البلاء والنوائب

المسلم يؤجر على المرض حتى الشوكة يشاكها وعلى غير ذلك من البلاء والنوائب

عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : مايُصيب المسلم من نصبٍ ولا وَصبٍ[1] ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذىً ولا غـمٍ[2] حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه[3].

وعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوعَك وعكاً شديداً ، وقلت : إنك لتوعك وعكاً شديداً ، قلت : إن ذلك بأن لك أجرين ؟ قال : أجل ، ما من مسلم

---

(١) قوله «من نَصَب ولا وَصَب» بفتحتين فيهما والأول : التعب والألم الذي يصيب البدن من جراحة وغيرها ، والثاني : الألم اللازم والسقم الدائم على مايفهم من النهاية . مرقاة .

(٢) قوله «ولا أذى ولا غـم» قال ابن حجر – رحمه الله – : الأذى كل ما لايلائم النفس فهو أعم من الكل ، والظاهر أنه مختص بمايتأذى به الإنسان من غيره، كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾ ومنه قوله تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ماااكتسبوا﴾.
والهـم : الذي يهم الرجل أى يذيبه من هممت الشحم إذا أذبته ، والحزن : هو الذي يظهر منه في القلب خشونة ، يقال : مكان حزن أى خشن فالهم والحزن مايصيب القلب من الألم بفوت محبوب إلا أن الغم أشدها ، والحزن أسهلها ، وقيل : الهم يختص بما هو آت ، والحزن بما فات . انتهى كلام ابن حجر .

(٣) والحديث رواه البخاري في صحيحه : كتاب المرضىٰ «باب ماجاء في كفارة المرَض» .

يصيبه أذىً إلّا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ ورقُ الشجر . صحيح البخاري «كتاب المرضىٰ باب ماجاء في كفارة المرض» .

وعنه – رضي الله عنه – قال دخلت على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يوعَك ، فقلت : يارسول الله ! إنك توعك وعكاً شديداً ، قال : أجل إني أوعَك كما يوعك رجلان منكم ، قلت : ذلك بأن لك أجرين ؟ قال : أجل ذلك كذلك ، مامن مسلم يصيبه أذىً شوكةٌ فما فوقها **إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحُطُّ الشجرةُ ورقَها** . صحيح البخاري «كتاب المرضىٰ» .

قوله ﴿ﷺ﴾ : «إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» : قال في المرقاة : قال الطيبي : شبه حال المريض وإصابة المرض جسده ثم محو السيِّئآت عنه سريعاً بحالة الشجرة وهبوب الرياح الخريفية وتناثر الأوراق منها فهو تشبيه تمثيلي ، ووجه الشبه الإزالة الكلية على سبيل السرعة .

قال ابن الملك : وفيه إشارة عظيمة لأن كل مسلم لايخلو عن كونه متأذياً انتهى ماذكره في المرقاة .

وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : مثل المؤمن كمثل الخامة (أي الغصنة اللينة) من الزرع تفيِّئها الرياح (أي تميلها يميناً وشمالًا) تصرعها مرة **وتعدلها أخرى حتى يأتي أجله** ، ومثل المنافق كمثل الأرزة – أي الصنوبر – المُجذية لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة . متفق عليه كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض».

قوله «وتعدلها أخرى حتى يأتي أجله» قال في المرقاة : أى تارة أخرى يعنى يصيب المؤمن من أنواع المشقة من الخوف والجوع والمرض وغيرها حتى يأتي أجله أى يموت .

والحاصل أن المؤمن لايخلو من علة وقلة أو ذلة كما روى ، وكل ذلك من علامة السعادة قاله ابن الملك يعنى بشرط الصبر والرضا والشكر .

وأخرج أحمد عن أبي بن كعب مرفوعاً : مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر أخرى . انتهى .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : **مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تميّله ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء** ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لاتهتزُّ – أى لاتتحرك – حتى تُستحصد . متفق عليه كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله «مثل المؤمن كمثل الزرع الخ» قال في المرقاة : ولعل الحكمة في ذلك ماجاء عنه عليه الصلاة والسلام : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا أن تمرري وتكدري على أوليائى حتى يحبوا لقائى ، ومنه الحديث المشهور : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

وفيه إشارة إلى أن المؤمن ينبغى أن يرى نفسه عارية معزولة عن إستعمال اللذات معروضة على الحوادث . انتهى ماذكره في المرقاة .

وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مرض العبد أو سافر كتب له بمثل ماكان يعمل مقيماً صحيحاً . رواه البخاري كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن جابر – رضي الله عنه – قال : دخل رسول الله ﴿ﷺ﴾ على أم السائب ، فقال : **مالكِ تزفزِفين** ؟ قالت : الحمّى ، لابارك الله فيها ، فقال : لا تسبِّى الحمَّى ، فإنها تُذهب خطايا بنى آدم كما يُذهب الكيرُ خَبَثَ الحديد . رواه مسلم كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» . قال ميرك : ورواه الترمذي في سننه كما في المرقاة .

قوله «تزفزفين» وفي نسخة صحيحة بالراءين المهملتين على بناء الفاعل ، قال الطيبي : رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شيء ، والمعنى : مالكِ ترتعدين ؟ كما في المرقاة .

قال صاحب المرقاة شارحاً لهذا الحديث :

وذكر السيوطى – رحمه الله – «في كشف الغمَّى في أخبار الحمى» عن الحسن مرفوعاً قال : إن الله ليكفِّر عن المؤمن خطاياه كلَّها بحمَّى ليلة . قال ابن المبارك : هذا من جيد الحديث .

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : حمى ليلة كفارة سنة .

وعن أبي أمامة مرفوعاً الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار .

وفي حديث : أن الحمى حمى أمتى من جهنم .

وعن أبيّ بن كعب – رضي الله عنه – قال : يارسول الله ! ماجزاء الحمَّى ؟ قال : تجرى الحسنات على صاحبها مااختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، قال أبيّ : اللهم إني أسألك حمَّى لا تمنعنى خروجاً في سبيلك ولا خروجاً إلى بيتك ومسجد نبيِّك – ﴿ﷺ﴾ – . قال الراوى : فلم يمش أبيّ قط إلا وبه حمَّى . انتهى ماذكره صاحب المرقاة .

والحديث الأخير هذا ذكره الحافظ ابن كثير بأوضح من هذا حيث قال :

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد بن إسحاق حدثتنى زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فقال : أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا ، ما لنا بها ؟ قال : كفارات ، قال أبي : وإن قلَّت ؟ قال : حتى الشوكة فما فوقها ، قالت : فدعا أبي على نفسه أنه لايفارقه الوعك حتى يموت في أن لايشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، فما مسه إنسان حتى وجد حره حتى مات رضي الله عنه . تفرد به أحمد . راجع التفسير لابن كثير ١ /٥٦٠ .

قال الراقم : أحب وأختار أبيّ بن كعب رضي الله عنه حُسنَ ثواب الآخرة بمرض دنياه ، وآثر مايبقى على مايفنى ، لأنه قد علم أن لا عيش إلا عيش الآخرة ، واللهُ عنده حسن الثواب . وفي الحديث الصحيح : إنما الأعمال بالنيات .

وقد قال الله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ .

وقال جل شأنه : ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ .

وقال جلت عظمته : ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين﴾ .

قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابنته أنها سألت عائشة عن هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يُجزَ به﴾ فقالت : ماسألنى أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : ياعائشة ! هذه معاتبة الله للعبد ممايصيبه من الحمى والنكبة

والشوكة ، حتى البضاعة فيضعها في كمه ، فيفزع لها فيجدها في جيبه ، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما أن الذهب يخرج من الكير . راجع التفسير لابن كثير ١ /٥٥٩ ، وأورده الإمام الترمذي في سننه أيضاً كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض ، قيل للملك الموّكل به أكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً – أي غير مقيد بالمرض – حتى أطلقَه أو أكفِته إلى – أى أضمه إليَّ بالموت – . رواه في شرح السنة كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : إذا ابتُلى المسلم ببلاء في جسده ، قيل للملك : اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، فإن شفاه غسَّله وطهَّره ، وإن قبضه غفرله ورحمه . رواه في شرح السنة كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قال في المرقاة : قال ميرك : رواه أحمد بإسناد صحيح ليس فيه إلا عاصم القارى روى له الأربعة ، وأخرج له الشيخان متابعة .

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : لايصيب عبداً نكبة **فما فوقها أو دونها** إلا بذنب ، **وما يعفو الله تعالى عنه أكثر** ، وقرأ ﴿ماأصابكم **من مصيبة** فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ رواه الترمذي كما في المشكاة باب «عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله «فما فوقها أو دونها» : قال في المرقاة : واختلفوا في معناه ، فالجمهور على أن المعنى «فما فوقها» في الكبر كالذباب والعنكبوت .

وقال أبو عبيدة : أى فما دونها كما يقال : فلان جاهل فيقال : وفوق ذلك ، أى وأجهل .

قال الإمام الرازي : وهو قول أكثر المحققين لكن مختار الكشاف والبيضاوى أن معناه : مازاد عليها في الجثة كالذباب ، أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها .

قال البيضاوي ونظيره في الاحتمالين ماروى : أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط ، فقالت عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : مامن مسلم يشاك بشوكة فما فوقها إلا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة .

فإنه يحتمل ماتجاوز الشوكة في الألم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام : ماأصاب المؤمن من مكروه ، فهو لخطاياه حتى نَخبة النملة – أى قرصتها – اهـ .

والحديث الأول رواه البخاري وغيره ، وأما الثاني فقال العسقلاني : لم أجده انتهى ماذكره في المرقاة .

وقوله «مايعفو الله تعالى عنه أكثر» قال في المرقاة : أى الذي يغفره ويمحوه عنه أكثر مما يجازيه ، قال ميرك نقلا عن زين العرب : أى لاتصيب العبد في الدنيا مصيبة إلا بسبب ذنب صدر منه ، وتكون تلك المصيبة التي لحقته في الدنيا كفارة لذنبه ، والذي يعفو الله عنه من الذنوب من غير أن يجازيه في الدنيا والآخرة أكثر من ذلك ، **فانظر إلى حسن لطف الله تعالى بعباده** . انتهى ماذكره في المرقاة .

قوله «من مصيبة» أى من مرض وشدة وهلاك وتلف في أنفسكم وأموالكم وهذا يختص بالمذنبين ، وأما غيرهم فإنما تصيبهم لرفع درجاتهم. مرقاة.

وعن جابر[1] بن عتيك قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله ، المطعون شهيد ، والغريق شهيد[2] ، وصاحب ذات الجنب شهيد[3] ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد[4] . رواه مالك وأبو داود والنسائي كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله . متفق عليه كما في المشكاة «كتاب الجنائز» .

---

(١) قوله «جابر بن عتيك» بفتح العين وكسر التاء كنيته أبو عبدالله الأنصاري ، شهد بدراً وجميع المشاهد بعدها . مرقاة .

(٢) قوله «والغريق شهيد» أى إذا كان سفره طاعة . مرقاة .

(٣) قوله «وصاحب ذات الجنب شهيد» وهى قرحة أو قروح تصيب الإنسان داخل جنبه ثم تفتح ويسكن الوجع ، وذلك وقت الهلاك ، ومن علاماتها الوجع تحت الأضلاع ، وضيق النفس مع ملازمة الحمّى والسعال ، وهى في النساء أكثر . مرقاة .

(٤) قوله «والمرأة تموت بجمع شهيد» في النهاية : أى تموت وفي بطنها ولد ، وقيل تموت بكراً ، والجمع بالضم بمعنى : المجموع كالذخر بمعنى المذخور ، وكسر الكسائى الجيم أى ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة أو غير مطموثة ذكره الطيبى ، وقال بعض الشراح : الجمع بضم الجيم وكسرها والرواية بالضم أى تموت وولدها في بطنها ، وقيل : هو الطلق ، وقيل بأن تموت بالولادة ، وقيل بسبب بقاء المشيمة في جوفها وهى المسماة بالخلاص ، وقيل معناه : تموت بجمع من زوجها أى ماتت بكراً لم يفتضها زوجها . قال ميرك : ورواه ابن ماجه ، وقال النووى : هذا حديث صحيح وإن لم يخرجاه الشيخان بلا خلاف . مرقاة .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : **الطاعون** شهادة كل مسلم . متفق عليه كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله : «**الطاعون**» قال في اللمعات : قال الخليل : الطاعون الوباء ، وقال ابن الأثير : الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد الهواء فيفسد به الأمزجة والأبدان ، وقال القاضي أبوبكر ابن العربي : الطاعون الوجع الغالب الذي يطفىء الروح ، وقال القاضي عياض : الطاعون القروح الخارجة في الجسد . وقال النووي : هو بثر وورم مؤلم جداً يخرج مع لهب ويسود ماحوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة يتفسخه كدرة ويحصل معه خفقان وقيء ، ويخرج غالباً في المراق والآباط ، وقد يخرج في الأيدي والأصابع وسائر الجسد .

وقال ابن سينا : الطاعون مادة سمية تحدث ورماً . ذكره الشيخ أحمد على السهارنفوري محشى صحيح البخاري في حاشيته على مشكاة المصابيح . رحمهما الله .

قال في المرقاة : وقيل : الطاعون هو الموت بالوباء ، والوباء الموت العام والمرض العام .

وأخرج أحمد عن أبي موسى مرفوعاً : فناء أمتي بالطعن والطاعون ، قيل : يارسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة . انتهى ماذكره صاحب المرقاة .

قال في المرقاة : واعلم أن الشهداء الحكمية كثيرة وردت في أحاديث شهيرة جمعها السيوطى في كراسة سماها «أبواب السعادة في أسباب الشهادة» منها ماذكر :

ومنها : صاحب ذات الجنب ، والحريق ، والمرأة تموت بجمع أى في بطنها ولد،

وقيل تموت بكراً ، ومنها المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها ، ومنها صاحب السل أى الدق ، والغريب ، والمسافر ، والمصروع عن دابته في سبيل الله ، والمرابط والمتردّى ، ومن تأكله السباع ، ومن قتل دون ماله وأهله أودينه أو دمه أومظلمته ، ومنها الميت في سبيل الله والمرعوب على فراشه في سبيل الله .

وعن عليٍّ رضي الله عنه من حبسه السلطان ظلماً فمات في السجن فهو شهيد ، ومن ضرب فمات في الضرب فهو شهيد الخ .

وعن أنس مرفوعاً : الحمى شهادة .

وعن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت : يارسول الله ! أيُّ الشهداء أكرم على الله ؟ قال : رجل قام إلى إمام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله .

وعن أبي موسى من وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة فهو شهيد .

وعنه عليه الصلاة والسلام : المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد .

قوله «**المائد**» اسم فاعل من ماد يميد إذا مال وتحرك ، وهو الذي يدور رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج كذا في النهاية .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : إن الله كتب الغيرة على النساء ، والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد .

وعن ابن عمر مرفوعاً : من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من الشهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد .

ومنها التمسك بالسنة عند فساد الأمة . ومنها من مات في طلب العلم والمؤذن المحتسب ، ومن عاش مداريا ، ومن جلب طعاماً إلى المسلمين ، ومن سعى على امرأته وولده ومماملكت يمينه وغير ذلك مما يطول ذكره فكل من كثر أسباب شهادته زيد له في فتح أبواب سعادته . انتهى ماذكره في المرقاة .

وروى أبوداود عن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال رسول الله «ﷺ» : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه . راجع السنن لأبي داود «باب الاستغفار» ورواه مسلم كما في المشكاة «كتاب الجهاد» .

قوله : «بلغه الله منازل الشهداء» فيه أن المرء يثاب بنيته وأنه يثاب بعين مايثاب على الفعل أو بمثله ونظيره ، وأقول في قوله صلى الله عليه وسلم : بلغه الله منازل الشهداء . نوع إيماء إلى الثاني . من التعليق المحمود على سنن أبي داود للشيخ فخر الحسن الكنكوهي رحمه الله .

قال الراقم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده من كانوا وحيث كانوا وهو على كل شيء قدير ، فعلينا الاجتهاد في حصول هذه الدرجات السنية والمراتب العليا بالعمل والنية ، اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك واجعل قبورنا ببلد رسولك «ﷺ» آمين يارب العالمين .

قد ذكرنا فضل الطاعون فيما سبق من الأحاديث ، الآن نذكر بعض ماجرى من الطاعون في الإسلام ، والمقصود بذكره هنا التصبير والحمل على التأسى وأن مصيبة الإنسان قليلة بالنسبة إلى ماجرى قبله .

ذكر النووى رحمه الله في تأليفه «كتاب الأذكار» في «باب التعزية» بعض ماجرى من الطاعون في الإسلام حيث قال :

قال أبوالحسن المدائني كانت الطواعين المشهورة العظام في الإسلام خمسة:

طاعون شيرويه بالمدائن في عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ سنة ست من الهجرة .

ثم طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالشام ، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً .

ثم طاعون في زمن ابن الزبير في شوال سنة تسع وستين مات في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً ، مات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثة وثمانون ابنا ، وقيل ثلاثة وسبعون ابناً ، ومات لعبدالرحمن بن أبي بكرة أربعون ابناً .

ثم طاعون الفتيات في شوال سنة سبع وثمانين .

ثم طاعون إحدى وثلاثين ومائة في رجب واشتد في رمضان وكان يحصى في سكة المربد في كل يوم ألف جنازة ، ثم خف في شوال .

وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين وفيه توفى المغيرة بن شعبة ، هذا آخر كلام المدائنى .

وذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف عن الأصمعى في عدد الطواعين نحو هذا ، وفيه زيادة ونقص .

قال : وسمى طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى بالبصرة وواسط والشام والكوفة ، ويقال له طاعون الأشراف ، لِما مات فيه من الأشراف .

قال : ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط ، وهذا الباب واسع وفيما ذكرته تنبيه على ماتركته ، وقد ذكرت هذا الفصل أبسط من هذا في أول شرح صحيح مسلم رحمه الله وبالله التوفيق . انتهى ماقاله النووى رحمه الله .

وعن سعد قال : سئل النبي ﴿ﷺ﴾ أيّ الناس أشد بلاء ؟ قال : **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة هون عليه** فمازال كذلك حتى يمشى

على الأرض وما له ذنب . رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله «الأنبياء الخ» أى هم أشد في الابتلاء ، لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء ، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية ، وليتوهَّن على الأمة الصبر على البلية . وقوله «ثم الأمثل فالأمثل» : أى الأشبه بهم أو الأفضل من غيرهم ، قال ابن الملك : أى الأشراف بالأشراف والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة ، يعنى من هو أقرب إلى الله بلاؤه أشد ليكون ثوابه أكثر . مرقاة .

قوله «هون عليه» أى البلاء ، قال ابن الملك : ليكون ثوابه أقل .

أقول : بل رحمة عليه ولطفاً به فلا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها ، ولو لا التخفيف في بلائه لخشى عليه الكفر من ابتلائه ، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : كاد الفقر أن يكون كفراً . مرقاة .

وعن أنس – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : إذا أراد الله تعالى بعبده الخير **عجل له العقوبة في الدنيا** ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة . رواه الترمذي كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله «عجل له العقوبة في الدنيا» : أى الابتلاء بالمكاره في الدنيا ، لأن عذاب الآخرة أشد وأبقى . مرقاة .

وعنه – رضي الله عنه – قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إن عُظم الجزاء** مع عُظم البلاء ، وإن الله عزوجل إذا أحب قوماً ابتلاهم **فمن رضى فله الرضا** ، ومن سخط فله السَخط . رواه الترمذي وابن ماجه .

قوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ **«إن عُظم الجزاء»** بضم العين وسكون الظاء ، وقيل بكسر

ثم فتح أى عظمة الأجر وكثرة الثواب مقرون مع عُظم البلاء كيفية وكميةً جزاءً وفاقاً وأجراً طباقاً . مرقاة .

قوله «فمن رضي» أى بالبلاء فله الرضى ، أى فليعلم أن له الرضا من المولى أو فيحصل له الرضا في الآخرة والأولى . كما في المرقاة .

قال الراقم : من صبر على النوائب والبلاء فقد فاز بالرضا وصار من جملة أرباب الارتضاء وما أحسن قول من قال :

ياأيها الراضي بأحكامنا　　　لا بد أن تحمد عقبى الرضا

فوّض إلينا وابق مستسلما　　　فالراحة العظمى لمن فوّضا

لا ينعم المرء بمحبوبه　　　حتى يرى الراحة فيما قضى

قوله «ومن سخِط» قال في المرقاة : أى كرد بلاء الله ، وفزع ولم يرض بقضائه فله السخط من الله أولًا ، والغضب عليه آخراً ، واعلم أن الرضا والسخط حالان متعلقان بالقلب ، فكثير ممن له أنين من وجع وشدة مرض وقلبه مشحون من الرضا والتسليم لأمر الله هذا .

قال ميرك : أقول وللحديث محمل آخر وهو : أن نزول البلاء علامة المحبة ، فمن رضي بالبلاء صار محبوباً حقيقياً له تعالى ، ومن سخط صار مسخوطاً عليه ، تأمل .

ثم قال الطيبى : فهم منه أن رضا الله مسبوق برضاء العبد ، ومحال أن يرضى العبد عن الله تعالى إلا بعد رضاء الله تعالى كما قال تعالى : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ، ومحال أن يحصل رضاء الله ، ولا يحصل رضا العبد في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ياأيتها النفس المطمئنّة ارجعى إلى ربِّك راضية مرضية﴾ فعن الله الرضاء أزلًا وأبداً وسابقاً ولاحقاً ، مرقاة .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله تعالى وماعليه من خطيئة . رواد الترمذي وروى مالك نحود ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ يقول : إن الله قال : إذا ابتليتُ عبدي **بحَبِيْبَتَيه** فصبر عوَّضتُه منهما الجنة ، يريد عينيه.صحيح البخاري «كتاب المرضى» «باب فضل من ذهب بصرد» .

قوله : «**بحبيبتيْه**» قال الشيخ المحدث أحمد على السهارنفوري في حاشيته على البخاري : بالتثنية وقد فسرهما آخر الحديث بقوله : يريد عينيه ، والمراد بالحبيبتين المحبوبتان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل بفقدهما من الأسف على فوات رؤية مايريد رؤيته من خير يسر به أو شر فيجتنبه ، وقوله «فصبر» فالمراد به أن يصبر مستحضراً ماوعد الله به للصابر من الثواب لا أنه يصبر مجرداً عن ذلك لأن الأعمال بالنيات . والظاهر أن المراد بصبره أن لايشتكى ولا يقلق ولا يجهر عدم الرضا به ، وابتلاء الله تعالى عبده في الدنيا ليس من سخط عليه بل إما لدفع مكرود أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة. انتهى.

قال في المرقاة : وفضل الله أوسع من ذلك ، وينبغى لمن ابتلي بذلك أن يتأسّى بأحوال الأكابر من الأنبياء والأولياء الذين حصل لهم هذا البلاء فصبروا عليه ورضوا به بل عدُّوه نعمة ، ومن ثم لمَّا ابتلى به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – أنشد :

إن يذهب الله من عيني نورهما

ففي لساني وقلبي للهدى نور

وعن شداد بن أوس والصنابحي أنهما دخلا على رجل مريض يعودانه فقالا له : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت بنعمة الله ، قال شداد : أبشر بكفارات السيئآت وحط الخطايا ، فإني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : إن الله عزوجل يقول : أنا إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمنا فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ، ويقول الرب تبارك وتعالى أنا قيدت عبدي وابتليته فاجرو له ماكنتم تجرون له وهو صحيح . رواه أحمد كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

وعن محمد بن خالد السُلمي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبَّره على ذلك حتى يُبلِّغه المنزلة التي سبقت له من الله . رواه أحمد وأبوداود كما في المشكاة .

وعن عبدالله بن شِخِّير قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : مُثِّل – أى صور – ابن آدم **وإلى جنبه تسع وتسعون منيَّة ، إن أخطأته المنايا** وقع في الهرم حتى يموت . رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث غريب كما في المشكاة.

قوله : «**إلى جنبه تسع وتسعون منيَّة**» أى بقربه تسع وتسعون بلية مهلكة ، قال بعضهم : أى سبب موت . كما في المرقاة .

قوله : «**إن أخطأته المنايا**» أى إن جاوزته فرضاً أسباب المنية من الأمراض والجوع والغرق والحرق وغير ذلك مرة بعد أخرى وقع في الهرم أى في مجمع المنايا ومنبع البلايا . مرقاة .

وقال في المرقاة شارحاً لهذا الحديث المذكور : قال بعضهم أن أصل

خلقة الإنسان من شأنه أن لا تفارقه المصائب والبلايا والأمراض والأدواء كما قيل : البرايا أهداف البلايا ، وكما قال صاحب الحكم ابن عطاء : مادمتَ في هذه الدار لاتستغرب وقوع الأكدار ، فإن أخطأته تلك النوائب على سبيل الندرة أدركه من الأدواء الداء الذي لا دواء له .

وحاصله أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فينبغي للمؤمن أن يكون صابراً على حكم الله ، راضياً بما قدَّر الله تعالى وقضاه .

فقد روى في الحديث القدسي : من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، فليلتمس ربَّاً سوائي . انتهى .

وعن عامر الرام – رضي الله عنه – قال ذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الأسقام ، فقال : إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله عزوجل منه ، كان كفارة لما مضى من ذنوبه ، وموعظة له فيما يستقبل ، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ، فلم يدر لِم عقلوه ولم أرسلوه ، فقال رجل يارسول الله ! وما الأسقام ؟ والله ما مرضتُ قط ، **فقال : قم عنّا فلست منا** . رواه أبو داود كما في المشكاة كتاب الجنائز .

قوله «فلستَ منّا» قال في المرقاة : أى لست من أهل طريقتنا حيث لم تبتل ببليَّتنا ، وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام قال : من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ، لو كان الله يريد به خيراً لطهَّره به جسده .

وفي رواية : إن الله يبغض العفريت النفريت الذي لا يرزأ في ولده ولا يصاب في ماله . انتهى ماذكرد في المرقاة .

وعن جابر – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : يَوَدُّ أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جُلودهم قُرضت في الدنيا بالمقاريض . رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب ، قال في المرقاة : قال ميرك : وإسناده جيد والحديث حسن .

وعن سليمان بن صُرَد – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : **من قتله بطنُه لم يُعذَّب في قبره** رواه أحمد والترمذي ، وقال : هذا حديث غريب . كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» ، قال في المرقاة : قال ميرك : رواه النسائي وابن حبان في صحيحه .

قوله ﴿ﷺ﴾ «**من قتله بطنه**» إسناده مجازي أى من مات من وجع بطنه ، وهو يحتمل الإسهال والاستسقاء والنفاس ، وقيل : من حفظ بطنه من الحرام والشبه فكأنه قتله بطنه . مرقاة .

قوله : «**لم يعذب في قبره**» لأنه لشدته كان كفارة لسيئته ، وصح في مسلم أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدَّين أى إلا حقوق الآدميين والله أعلم . مرقاة .

وعن عطاء بن أبي رباح قال قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأةً من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداءُ أتت النبي ﴿ﷺ﴾ فقالت : **إني أصرع وإني أتكشَّف** فادع الله لي ، **قال : إن شئت صبرتِ ولك الجنة** ، وإن شئت دَعوتُ الله أن يعافيَكِ ، فقالت : أصبِر ، فقالت : إنِّي أتكشَّفُ فادع الله ألَّا أتكشَّفَ ، فدعا لها . صحيح البخاري «كتاب المرضى «باب فضل من يُصرع من الريح» .

قوله : «**إنِّي أصرعُ**» بصيغة المجهول قال الابهري : الصرع علة

تمنع الأعضاء الرئيسة عن انفعالها منعا غير تام ، وسببه ريح غليظ يحتبس في منافذ الدماغ أو بخار ردىء يرتفع إليه من بعض الأعضاء ، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى معه الشخص منتصباً بل يسقط ، وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم ، وأنكر ذلك كثير من الأطباء . ذكره صاحب المرقاة .

قوله : «**وإنِّي أتكشَّف**» من التكشف ، قال العسقلاني : وبالنون الساكنة مخففاً من الانكشاف ، والمراد : أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر . مرقاة .

قوله : «**إن شئت صبرت ولك الجنة**» قال في المرقاة : فيه إيماء إلى جواز ترك الدواء بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء ، بل ظاهره أن إدامة الصبر مع المرض أفضل من العافية لكن بالنسبة إلى بعض الأفراد ممن لايعطله المرض عما هو بصدده عن نفع المسلمين وأن ترك التداوى أفضل وإن كان يسن التداوى لخبر أبي داود وغيره «قالوا : أنتداوي ؟ فقال تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير الهرم» وأنه لا ينافي التوكل إذ فيه مباشرة الأسباب مع شهود خالقها ، ولأنه ﴿ﷺ﴾ فعله وهو سيد المتوكلين ، ومع ذلك ترك التداوي توكلًا كما فعله أبوبكر رضي الله عنه فضيلة . انتهى ماذكره في المرقاة .

وعن يحيى بن سعيد قال : إن رجلًا جاءه الموت في زمن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال رجل : هنيئاً له مات ولم يبتل بمرض ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ويحك **ما يدريك** لو أن الله ابتلاه بمرض فكفَّر عنه من سيئاته . رواه مالك مرسلًا كما في المشكاة «كتاب الجنائز» .

قوله «مايدريك» أى أيّ شيء يعلمك أن فقد المرض مكرمة . مرقاة .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له مايكفّرها من العمل ابتلاه الله بالحزن **ليكفّرها عنه** . رواه أحمد كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» قال في المرقاة : قال ميرك عن المنذري : ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وله شواهد كثيرة . انتهى .

قوله «ليكفّرها عنه» أى عن العبد بسبب الحزن ، وقد روى أن الله تعالى يحب كل قلب حزين . رواه الطبراني والحاكم . مرقاة .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال ذكرت الحمّى عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسبَّها رجل ، فقال النبى ﴿ﷺ﴾ : لا تسبّها فإنها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الحديد ، رواه ابن ماجه كما في المشكاة «باب عيادة المريض» .

وعنه – رضي الله عنه – قال : إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عاد مريضاً فقال : أبشر فإن الله تعالى يقول : **هى ناري** أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون **حظه من النار يوم القيامة**[1] .

قوله «هي ناري» قال الطيبى : في إضافة النار إشارة إلى أنها لطف ورحمة ، ولذلك صرح بقوله عبدي ووصفه بالمؤمن . مرقاة .

قوله «حظه من النار يوم القيامة» قال في المرقاة : ويحتمل أنه نصيبه من الحتم المقضى عليه في قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال : الحمى في الدنيا حظ المؤمن من الورود في الآخرة .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان . كما في المشكاة . وقال في المرقاة : رواه هناد بن السري وابن أبي الدنيا وابن جرير في تفسيره وابن عدي والحاكم وصححه ذكره السيوطي . مرقاة .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من مات مريضاً مات شهيداً أو وقى فتنة القبر **وغدى وريح عليه برزقه من الجنة** رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة «كتاب الجنائز».

قوله «وغُدِىَ وريح عليه برزقه» قال في المرقاة : نائب الفاعل أى جيء له برزقه حال كونه نازلًا عليه من الجنة ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وقوله عزوجل : ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ فإن الغدوة والبكرة أول النهار ، والروح والعشى آخره ، المراد بهما الدوام كما قال الله تعالى : ﴿أكلها دائم﴾ ويمكن أن يكون للوقتين المخصوصين رزق خاص لهم .

ثم المراد بالرزق هنا حقيقته لعدم استحالته ، وقد جاء في الأحاديث أن من المؤمنين من روحه في خيام أو قناديل وأجواف طيور خضر ونحوها خارجها أو تحت العرش ، ومنهم من روحه على شكل طائر تعلق في شجرها وتأكل من ثمرها كيف شاءت . انتهى .

وعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : يختصم الشهداء والمتوفّون على فرشهم إلى ربنا عزوجل في الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : إخواننا قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ، فيقول ربنا : انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراحهم جراح المقتولين فإنهم منهم ومعهم ، فإذا جراحهم قد اشبهت جراحهم رواه أحمد والنسائي كما في المشكاة «كتاب الجنائز» .

قال في المرقاة : قال ميرك : وله شواهد من حديث عقبة عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون :

نحن شهداء ، فيقال : انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً كريح المسك فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك . رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به . انتهى .

وعن جابر – رضي الله عنه – الفار من الطاعون كالفار من الزحف ، والصابر فيه له أجر شهيد . رواه أحمد . نفس المرجع المذكور . قال في المرقاة : ورواه البزار والطبراني نقله ميرك عن المنذري .

عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه : يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صباً حتى أن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم . كما في جمع الفوائد «كتاب الجنائز» رقم : ٢٣٣٥ .

عن عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن الطاعون فقال إن هذا مما يبعثه الله على من كان قبلكم فجعله الله رحمة للمؤمنين ، مامن عبد يكون في بلد يكون فيه فيمكث لايخرج صابراً محتسباً يعلم أنه لايصيبه إلا ماكتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد . للبخاري . نفس المرجع المذكور .

بوَّب أبو بكر بن أبي شيبة – وهو شيخ الشيخين البخاري ومسلم – في مصنفه «أبواب الجنائز» وأورد الأحاديث منها :

حدثنا وكيع عن إياس بن أبي تميمة عن عطاء عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : مامن وجع يصيبنى أحب إليَّ من الحمى أنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم ، وأن الله ليعطى كل مفصل قسطا من الأجر .

حدثنا أبومعاوية عن الأعمش عن سالم قال : رأى أبو الدرداء يوماً رجلًا

فتعجب من جلده ، فقال أبو الدرداء : هل حُمِمْتَ قطّ ؟ هل صُدِعْت قط؟ فقال الرجل : لا ، فقال أبو الدرداء : بُؤسٌ لهذا يموت بخطيئاته .

حدثنا حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال : يكتب من المريض كل شيء حتى أنينه في مرضه .

حدثنا غندر عن شعبة عن بعض أصحابه عن الحكم عن ربيع بن عميلة عن عمار قال : كان عنده أعرابي فذكروا الوجع ، فقال عمار : مااشتكيتَ قط ؟ فقال : لا ، فقال عمار : **ما أنت منا أو لست منا** ، مامن عبد يبتلى إلا حُطَّ عنه خطاياه كما تَحُطّ الشجرة ورقها ، وإن الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير عُقل فلم يدر لم عُقل ، فأطلق فلم يدر لم أطلق .

وعن جابر – رضي الله عنه – قال قلنا : يارسول الله كيف أصبحت ؟ قال : بخير من رجل لم يصبح صائما ولم يعد سقيماً . انتهى ما ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه بحذف .

قلنا : مع هذا التكفير للذنوب والخطايا ومع هذا الفضل العظيم فليس من السنة أن يسأل العبدُ اللهَ البلاء والأمراض والنوائب ، بل عليه أن يسأله العافية ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : «لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، وإذا لقيتموه فاثبتوا» .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا قال : يارسول الله ! أي الدعاء أفضل ؟ قال : سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، ثم أتاه في اليوم الثاني ، فقال أي الدعاء أفضل ؟ فقال له : مثل ذلك ، ثم أتاه اليوم الثالث ، فقال له مثل ذلك ، قال : فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت رواه الترمذي كما في جمع الفوائد رقم الحديث : ٩٤٦١ طبع المدينة المنورة .

وعنه – رضي الله عنه – أن النبي ﴿ﷺ﴾ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ ، فقال صلى الله عليه وسلم له : هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال : نعم كنت أقول : اللهم ماكنت معاقبى به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال له : سبحان الله ! لا تطيقه ولا تستطيعه ، أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، فدعا الله به فشفاه الله . لمسلم والترمذي كما في جمع الفوائد رقم الحديث : ٩٤٦٢ طبع المدينة المنورة .

(أبوبكر) قام على المنبر ثم بكى فقال : قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ عام أول على المنبر ثم بكى فقال : سلوا الله العفو والعافية ، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية . للترمذي كما في جمع الفوائد رقم الحديث ٩٤٦٦ .

(طارق بن أشيم) كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﴿ﷺ﴾ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم اغفرلي وارحمني واهدني وعافني وارزقني . لمسلم . نفس المرجع رقم الحديث : ٩٤٧٣ .

(عائشة) رفعته : اللهم عافني في جسدي ، وعافني في سمعى وعافني في بصرى ، واجعله الوارث مني ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . للترمذي كما في جمع الفوائد رقم الحديث ٩٤٧٤ .

وعن ابن عمرو بن العاص رفعه : اللهم إني أعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك وجميع سخطك . لمسلم وأبي داود ، جمع الفوائد رقم الحديث : ٩٤٠٤ .

نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة»

الباب الثاني

الصبر على الأمراض والنوائب

الصبر على الأمراض والنوائب

قال الله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمَّا يأتكم مَّثل الذين خلوا من قبلكم مَّستهم البأساء والضَّرَّاء وزُلزلوا حتَّى يقول الرسول والذين آمنوا متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ البقرة : ٢١٤ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره :

يقول تعالى ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ولهذا قال : ﴿ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء﴾ **وهى الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب .**

قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ...... ﴿البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ السقم ﴿وزلزلوا﴾ خوفوا من الأعداء زلزالا شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً . كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال : قلنا يارسول الله ! ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ فقال : إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع الميشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لايصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مابين لحمه وعظمه لايصرفه ذلك عن دينه ، ثم قال : والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون .

وقال تعالى : ﴿آلـم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ .

وقال تعالى : ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ كما قال : ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ .

وفي حديث أبي رزين «عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب» الحديث . انتهى ماذكره الحافظ ابن كثير ١ /٢٥٢ بحذف .

وذكر الحافظ ابن كثير ٤ /٥٢٦ عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نزل المعونة من السماء على قدر المئونة ، ونزل الصبر على قدر المصيبة . ومما يروى عن الشافعي أنه قال :

صبراً جميلًا ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا

من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها فرج قريب

وقال آخر :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنُّها لا تفرج

انتهى ماذكره الحافظ ابن كثير .

وقال الغزالي رحمه الله : فإن قلت ماحقيقة الصبر ؟ فاعلم : أن لفظة الصبر من طريق اللغة : الحبس ، قال الله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ الآية ، أى احبس نفسك معهم . وإنما يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين فلا يعاجلهم به ، ثم المعنى الذي هو من

مساعي القلب سمى صبراً لأنه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله العلماء : ذكر اضطرابك في الشدة ، وقيل : بل أرادة الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وأنها لا تزيد ولا تنقص ، ولا تتقدم ولا تتأخر ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر ، وحصن هذا الحصن ذكره حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر في ذلك لديه فهذه هذه وبالله التوفيق .

وقال الغزالي رحمه الله في منهاج العابدين في باب الشدائد والمصائب :

وإنما كفايتهما بالصبر ، فعليك بالصبر في المواطن كلها وإنما ذلك لأمرين أحدهما الوصول إلى العبادة وحصول المقصود منها ، فإن مبنى أمر العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبوراً لم يصل إلى شيء منها بالحقيقة ، وذلك أن من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها محقاً استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه :

أحـدهـا : أنه لا عبادة إلا وفي نفسها مشقة ولذلك كان كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه إذ لا يتأتى فعل العبادة إلا بقمع الهوى وقهر النـفس إذ هى زاجرة عن الخير، ومخالفة الهوى وقهر النفس من أشد الأمور على الإنسان .

وثانـيها : إن العبد إذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط حتى لايفسد عليه .

وثـالـثهـا : إن الدار دار محنة فمن كان فيها فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها ، وذلك أقسام فمنها : المصيبة في الأهل والقرابات والاخوان والأصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بأنواع الأمراض والأوجاع وفي العرض بقتال الناس إياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه ، وفي المـال بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصائب لذعة وحرقة من

نوع غير نوع الآخر فيحتاج إلى الصبر عليها كلها وإلا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة .

ورابعـــهـا : أن طالب الآخرة أشد ابتلاء وأكثر محنة أبداً ، ومن كان إلى الله أقرب فالمصائب له في الدنيا أكثر والبلاء عليه أشد ، أمَا تسمع قوله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل . فإذاً من قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة استقبلته هذه المحن ، فإن لم يصبر عليها ولايكون بحيث لا يلتفت إليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة ، فلا يصل إلى شيء من ذلك .

ولقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى فقال : ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ ثم قال : ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾فكأنه يقول : وطنوا أنفسكم على أنه لابد لكم من أنواع البلايا فإن تصبروا فأنتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال ، فإذاً من عزم على عبادة الله سبحانه يجب أولا أن يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية إلى الموت ، وإلا فقد قصد الأمر بغير آلته وأتاه من غير وجهه .

ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله أنه قال : من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل في نفسه أربعة ألوان من الموت الأبيض والأحمر والأسود والأخضر، فالموت الأبيض : الجوع ، والأسود : ذم الناس ، والأحمر : مخالفة الشيطان ، والأخضر الوقائع بعضها على بعض .

والثـاني من الأمرين : مافي الصبر من خير الدنيا والآخرة فمن ذلك النجاة والنجاح ، قال تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث

لايحتسب﴾ معناه : من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجاً من الشدائد .

ومنها : الظفر بالأعداء قال الله تعالى : ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ .

ومنها : الظفر بالمراد قال الله تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا﴾ .

وقيل : كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام : أن آباءك صبروا فظفروا ، فاصبر كما صبروا ، تظفر كما ظفروا ، وفي هذا المعنى قيل :

لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبة :: إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته :: وسد من القرع للأبواب أن يلجا

ومنها : التقدم على الناس والإمامة قال تعالى : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ .

ومنها : الثناء من الله سبحانه وتعالى قال سبحانه : ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوَّاب﴾ .

ومنها : البشارة والصلاة والرحمة قال الله تعالى : ﴿وبشر الصابرين – إلى قوله تعالى – أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ الآية .

ومنها : المحبة من الله تعالى قال الله تعالى : ﴿والله يحب الصابرين﴾ .

ومنها : الدرجات العلا في الجنة قال الله تعالى : ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ .

ومنها : الكرامة العظيمة قال تعالى : ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾

ومنها : ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجاً عن أوهام الخلق وأعدادهم وتحصيلهم قال تعالى : ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾

سبحان الله : ما حد ماأكرمه الله تعالى به عبده ، كل هذه الكرامات في الدنيا والآخرة يعطيها الله عبده على صبره ، فبان لك أن خير الدنيا والآخرة في الصبر .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : جميع خير المؤمن في صبر ساعة واحدة .

ولقد أحسن القائل :

الصبر مفتاح مايرجى :: وكل خير به يكون

فاصبر وإن طالت الليالي

ولقائل آخر :

صبرت وكان الصبر مني سجية
وحسبك أن الله أثنى على الصبر

سأصبر حتى يحكم الله بيننا
فإما إلى يسر وإما إلى عسر

فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة المحمودة وبذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله تعالى ولي التوفيق . انتهى ماقاله الغزالي .

واعلم أن للصبر درجات والدرجة التي أثنى عليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ هو الصبر عند الصدمة الأولى ، وإنه لكبير إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربِّهم وأنهم إليه راجعون . وهو المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة على حد قول الله جلت عظمته : ﴿وبشِّر الصابرين – إلى قوله تعالى – أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ والله أعلم بالصواب .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبى ﴿ﷺ﴾ بامرأة تبكى عند قبر ، فقال : اتقى الله واصبري ، قالت : إليك عنِّى ، فإنك لم تصَب بمصيبتى ولم تعرفه ، فقيل لها إنه النبى ﴿ﷺ﴾ ، فأتت النبيَّ ﴿ﷺ﴾ فلم تجد عنده بوَّابين ، فقالت : لم أعرِفْك . فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى . رواه البخاري في صحيحه «باب زيارة القبور» .

قوله «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» وفي رواية «عند أول صدمة» ، والمعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر ، وأصل الصدم : ضرب الشيء الصلب بمثله فاستعير للمصيبة الواردة على القلب ، قال الخطابي : المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ماكان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف مابعد ذلك فإنه على الأيام يسلو .

وحكى الخطابي عن غيره : أن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه ، وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره . وقال ابن بطال : أراد أن لايجتمع عليها مصيبة الهلاك وفقد الأجر . وقال الطيبى : صدر هذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم كأنه قال لها : دعى الاعتذار فإنى لا أغضب لغير الله وانظري لنفسك .

وقال الزين بن المنير : فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن بين لها أن

حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال ، فهو الذي يترتب عليه الثواب . ويؤيده أن في رواية أبي هريرة المذكورة «**فقالت أنا أصبر ، أنا أصبر**» . وفي مرسل يحيى بن أبي كثير : «فقال : اذهبى إليك ، فإن الصبر عند الصدمة الأولى» . انتهى ماقاله الحافظ في الفتح ٣ /١٥٠ .

قال العيني في عمدة القارى ٨ /٩٦ قال الطبري : إن قال القائل إن أحوال الناس في الصبر متفاوتة فمنهم : من يظهر حزنه على المصيبة في وجهه بالتغيير له ، وفي عينيه بانحدار الدموع ولا ينطق بشيء من القول ، ومنهم من يجمع ذلك كله ويزيد عليه إظهاره في مطعمه وملبسه ، ومنهم من يكون حاله في المصيبة وقبلها سواء فأيهم المستحق لاسم الصبر ؟

قد اختلف الناس في ذلك فقال بعضهم : المستحق لاسم الصبر هو الذي يكون في حاله مثلها قبلها ولا يظهر عليه حزن في جارحة ولا لسان كما زعمت الصوفية أن الولي لاتتم له الولاية إلا إذا تم له الرضاء بالقدر ولا يحزن على شيء ، والناس في هذا الحال مختلفون فمنهم من في قلبه الجلد وقلة المبالاة بالمصائب ، ومنهم من هو بخلاف ذلك ، فالذي يكون طبعه الجزع ويملك نفسه ويستشعر الصبر أعظم أجراً من الذي يتجلد طباعه .

قال الطبري كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه نعى أخود عتبة قال لقد كان من أعز الناس عليَّ وما يسرني أنه بين أظهركم اليوم حياً ، قالوا : وكيف هو من أعز الناس عليك ؟ قال : إنى لأوجر فيه أحب إلي من أن يؤجر فيَّ .

وقال ثابت : أن الصلت بن أشيم مات أخود فجاء رجل وهو يطعم فقال : ياأبا الصهباء ! إن أخاك مات ، قال : هلم فكل قد نعى إلينا

فكل قال والله ماسبقنى إليك أحد ممن نعا ، قال : يقول الله عزوجل : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾.

وقال الشعبي : كان شريح رضي الله عنه يدفن جنائزه ليلًا فيغتنم ذلك فيأتيه الرجل حين يصبح فيسأله عن المريض فيقول : هذا لله الشكر وأرجو أن يكون مستريحاً .

وكان ابن سيرين يكون عند المصيبة كما هو قبلها يتحدث ويضحك إلا يوم ماتت حفصة فإنه جعل يكشر وأنت تعرف في وجهه .

وسئل ربيعة مامنتهى الصبر ؟ قال : أن تكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه ، وأما جزع القلب وحزن النفس ودمع العين فإن ذلك لايخرج العبد من معانى الصابرين إذا لم يتجاوزه إلى ما لايجوز له فعل لأن نفوس بنى آدم مجبولة على الجزع من المصائب ، وقد مدح الله تعالى الصابرين ووعدهم جزيل الثواب عليه ، وتغيير الأجساد عن هيئآتها ونقلها عن طبعها الذي جبلت عليه لايقدر عليه إلا الذي أنشأها .

وروى المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً قال قال الله تعالى : إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكنى إلى عواده انشطه من عقاله وبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيرا من دمه ويستأنف العمل . انتهى ماقاله العينى في عمدة القاري .

قال الراقم : إن الله بكل شيء عليم ، يعلم مصالح كل شيء ومفاسده ، وإنه بعباده خبير بصير ، يعلم خفايا حالهم ومايؤل إليه أمرهم ويختار لعباده مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك كله فيغنى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر ويسقم من يستحق السقم وهكذا الصحة ، كما روى البغوى بسنده عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى قال يقول الله عزوجل .... وفيه :

.... إن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك ، **وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمتُه لافسده ذلك** ، **وإن من عبادي المؤمنين لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححتُه لافسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي في قلوبهم إني عليم خبير** .

من التفسير المظهري ٨ /٣٢٤ /٣٢٥ .

وأورد الحافظ ابن كثير جزء من هذا الحديث أيضا راجع التفسير لابن كثير ٤ /١١٦ تحت قوله تعالى ﴿ولكن ينزِّل بقدر مَّايشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ .

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه قال : مرَّ عمر بن الخطاب **برجل مبتلى أجذم ، أعمى ، أصم ، وأبكم ، فقال لمن معه : هل ترون في هذا من نعم الله شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : بلى ! ألا ترون يبول فلا يعتصر - لا يحبس - ولا يلتوي يخرج منه بوله سهلًا ، فهذه نعمة من الله** . كما في الكنز ٢ /١٥٤ .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم قال : سمع عمر رضي الله عنه رجلًا يقول : اللهم إني أستنفق نفسي ومالي في سبيلك ، فقال عمر : أو لا يسكت أحدكم فإن ابتلى صبر وإن عوفي شكر . كما في الكنز ٢ /١٥٤ .

إذا المـرء كانـت لـه فـكـرة
فـفي كل شـيءٍ لـه عـبــرة

قال المؤلف : بينما نحن في الحرم النبوي الشريف ذات يوم إذ طلع علينا رجل نحيف مقطوع اليدين إلى الإبطين ، متزين الوجه باللحية حسب شريعتنا البيضاء ، يتميل إلى الجانبين عند مشيه ، وكان رجل يقوده واضعاً يده على عنقه لكي لا يتميل عند المشى ويخر ، جلس إلى جنبي الأيمن وأنا أنظر إليه وأتفكر حتى أقيمت صلاة العشاء ، فلما رجعت إلى بيتي ودخلت الفراش أتقلب على فراشي حتى لم أكتحل بالنوم تلك الليلة وأنا متفكر في حالته هذه وأقول :

هـل هـو يقـدر أن يـأكل شيئا أو يشـرب بنفسـه ؟

هـل لـه أن يلبـس الثـياب ويخلعهـا حـينـما يـريـد ؟

هـل لـه أن يزمـل جسـده باللحـاف في لـيالي الشـتاء بنفسـه والإنسان يحتاج إليـه في الليـل مرات كثيرة فمـن يتـرك فـراشـه النـاعـم ويقيـم ليغـطى هـذا العبـد المحتاج ؟

هـل يقـدر أن يطـهر جسده بالمـاء بغير معين ؟

هـل لـه أن يحك داخـل الأذن والأنـف بالأصبـع أو يـدعـو معـينا لـه أو خـادماً ؟

هـل لـه أن يحـك أي عـضو مـن جسـده أو يرغـم جسـده بالأرض أو بالجـدار ليقضى حـاجته ؟

وكيـف يغسل وجهـه هـذا العبد ؟

وكيـف يمسح النـوم عن وجهـه وهو مقطـوع اليـدين إلـى الإبطين ؟

هـل لـه من زوجـة يلعـب بهـا وتلعـب بـه ؟

أنَّىٰ لـه هـذا ؟ إلا مـاشاء الله ولـكن في الجنة له كل شيء إذا صبر

واحتسب على حالته هذه إن شاء الله تعالى .

وهل هو يقدر أن يفتح باب بيته المقفل أو ينتظر غيره ؟

وكيف يجده شاكراً أو كفورًا هذا العبد الضعيف ؟

وهل .... ؟ وهل .... ؟ وكيف .... ؟ وكيف .... ؟ لا تعد ولا تحصى كلا لا يقدر على أي شيء يستعمل فيه الأيدى ليقضي حاجته بنفسه إلا بتعاون غيره .

وقلت في نفسي : أبحث عن هذا العبد في الحرم النبوى فإذا لقيته أسأله عن حالته هذه وأسأله كيف يجد نفسه بربه سبحانه ؟

فلما كان من اليوم الثاني أتيت الحرم النبوى أبتغى هذا الرجل المذكور ، فدخلت في دورة المياه وجلست لأتوضأ فإذا هذا الرجل المذكور وجدته جالساً إلى جنبي الأيسر ، كاد أن يفك سنبور الماء بأسنانه ، ففتحت له سنبور الماء بيدي ، فشكر لي ، وبدأ يتمضمض ، فإذاً معيناً له ورد بعد قليل ، فغسل وجهه وخلل لحيته وغسل رجليه ، ثم توضأ بنفسه وذهب به إلى الحرم النبوى الشريف وأنا أمشى معه وهو ينظر إليَّ وأنظر إليه ، فلما دخلنا الحرم وجلسنا معاً سألته في اثناء الكلام كيف تجدك في هذه الحالة ياعبدالله ؟ وما ظنك بربك ياعمَّى ؟ **فتبسم ضاحكاً** وقال : حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

وقرأ عليَّ قول خالقه :

﴿قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولـٰنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

وقرأ قوله سبحانه : ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ .

وقال : أنا ماأقول إلا كما قال سيدنا يعقوب صلوات الله وسلامه عليه : ﴿إنما أشكواْ بثى وحزني إلى الله﴾ .

وقال : أنا راض من ربي أنا راض من ربي وأقول أمامك : رضيت بالله رباً

وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ﷺ وأدعو الله أن لا يخزني يوم القيامة آمين .

إي والله وجدته كأنه جبل الصبر وكان من حفاظ القرآن ، وكان من المعتمرين الباكستانيين ، راض على خالقه الذي خلقه على هذه الحالة ، ينصح الناس ويدعو الله أن لا يخزيه يوم القيامة .

ولقد صدق سيد الصابرين الأولين والآخرين محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ : فيما روى عنه صهيب رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له . رواه مسلم .

وأثنى الله جلت عظمته على الصابرين من المؤمنين ووعدهم بالجنة والأجر الكبير قائلا :

﴿ولئن أذقنا الإنسان منَّا رحمة ثم نزعنٰها منه إنه ليئوس كفور ، ولئن أذقناه نَعمآءَ بعد ضرَّآء مسَّته ليقولَنَّ ذهب السيئات عنِّي إنه لفرَح فخور **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**﴾ سورة هود عليه السلام الآية : ٨ - ١١ .

وعلى الإنسان أن لا يتهم ربه في قدره وقضائه فإنه ليس بظلام للعبيد ولا يظلم عباده .

وعن ابن أبي حاتم .... أن شداد بن أوس كان يقول : أيها الناس ! لاتتهموا الله في قضائه فإنه لا يبغى على مؤمن ، فإذا أنزل بأحدكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئا مما يكره فليصبر وليحتسب فإن الله عنده حسن الثواب . أورده الحافظ ابن كثير مفسراً لقوله تعالى ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ راجع التفسير لابن كثير ١ /٤٤٣ .

والآن نذكر قصص بعض الصابرين الذين صبروا واحتسبوا على الأمراض والبلاء والنوائب فـ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ .

★ ★ ★ ★ ★

صبر سيِّدنا أيـوب ﴿ﷺ﴾ عـلى المرض الذي أصابه
وفـي ذلـك ذكــرى للـذاكـريـن

اعلم أن قصة سيدنا أيوب ﴿ﷺ﴾ من أحسن القصص وأهمـها في باب الصبر على ماكان أصابه من البلاء في ماله وجسـده وولده حتى أثنى عليه اللهُ جلت عظمته في كتابه العزيز الذي يتلى إلى يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار ويُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب .

قال تعالى : ﴿وأيُّوبَ إذا نادىٰ ربَّه أنِّي مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضُرٍّ وآتيناه أهله ومثلَهم مَّعهم رحمةً مِّن عندنا وذكرى للعٰـبـدين﴾ الأنبياء : ٨٣ / ٨٤ .

قال وهب بن منبه : كان أيوب عليه الصلاة والسلام رجلا من الروم ، وهو أيوب بن أحرص بن رازخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران ، وكانت امرأته رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وقيل : هي بنت يوسف عليه الصلاة والسلام .

وقال البغوي روى ابن شهاب عن أنس يرفعه : أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، وقال وهب : لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً ، وقال كعب : كان أيوب في بلائه سبع سنين ، وقيل : كان في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله مفسراً لقوله تعالى المذكور .

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ماكان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده ، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية ، فابتلي في ذلك كله ، وذهب عن آخره ، ثم ابتلي في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه **ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل** ، حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ، ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل» .

وفي الحديث الآخر : «يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه» .

وقد كان نبى الله أيوب عليه الصلاة والسلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك ، وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الذكر ثم قال : **أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إليَّ أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبى شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله منى وفرغت قلبى فليس يحول بينى وبينك شيء لو يعلم عدوى إبليس بالذي صنعت حسدني.** قال : فلقى إبليس من ذلك منكراً قال : وقال أيوب عليه السلام إنك أعطيتنى المال والولد فلم يقم على بابي أحد يشكونى لظلم ظلمته وأنت تعلم ذلك وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي يانفس ! إنك لم تخلقي لوطء الفراش ماتركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم .

وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لايزيد ولا ينقص ، وقال السدي : تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام ، فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه ، **فقالت له امرأته لما طال وجعه ياأيوب ! لو دعوت ربك يفرج عنك ! فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة** ، فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيبه فتطعمه ، وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما فإنه إن شرب منه برىء فأتياه فلما نظرا إليه بكيا ، فقال : من أنتما ؟ فقالا : نحن فلان وفلان فرحب بهما ، وقال : مرحباً بمن لا يجفوني عند البلاء ، فقالا : ياأيوب ! لعلك كنت تسر شيئا وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله ، **فرفع رأسه إلى السماء فقال : هو يعلم** ، ماأسررت شيئا أظهرت غيره **ولكن ربِّى ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع ؟** الحديث .

وعن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال: أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ماأذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف مابه ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه السلام : ماأدري ماتقول غير أن الله عزوجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين

يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . رفع هذا الحديث غريب جداً .

وروى ابن أبي حاتم ..... عن ابن عباس قال : وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه **فقالت : ياعبدالله أين ذهب المبتلى الذي كان ههنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب ؟ فجعلت تكلمه ساعة . فقال : ويحك أنا أيوب . قالت : أتسخر منى ياعبدالله ؟ فقال : ويحك أنا أيوب قد ردَّ الله عليَّ جسدي .**

وبه قال ابن عباس وردَّ عليه ماله وولده عياناً ومثلهم معهم .

وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك . رواه ابن أبي حاتم .

وقال أيضاً .... عن أبي هريرة عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه قال : **فقيل له : ياأيوب ! أما تشبع ؟ قال : يارب ! ومن يشبع من رحمتك ؟** . أصله في الصحيحين .

وقال مجاهد قيل له : ياأيوب إن أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم ، قال : لا ، بل أتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا .

وقال بعد قليل في قوله تعالى : **﴿وذكرى للعابدين﴾ أى وجعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك** . انتهى ماذكره الحافظ ابن كثير ٣ /١٨٩ /١٩١ بحذف .

★ ★ ★ ★ ★

صبر سيدنا محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ على شدة الحمى

أخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم – واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم وله شواهد كثيرة – عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنه دخل على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو موعوك – أى محموم – عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال ما أشد حُمَّاك يارسول الله ! قال : إنا كذلك يُشدَّد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر ، ثم قال : يارسول الله ! من أشد الناس بلاء ؟ قال : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال : العلماء ، قال : ثم من ؟ قال : الصالحون ، وكان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى مايجد إلا العباءة يلبسها ، **ولأحدهم أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء**. كما في الترغيب ٥ /٢٤٣ . وأخرجه البيهقي ، كما في الكنز ٢ /١٥٤ وأبو نعيم في الحلية ١ /٣٧٠ نحوه .

وأخرج البيهقي عن أبي عبيدة بن حذيفة رضي الله عنه عن عمته فاطمة رضي الله عنها قالت : أتينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ في نساء نعوده وقد حُمَّ فأمر بسقاء فعُلِّق على شجرة ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فواقه – أى يقطر ماؤه عليه كما في المجمع – من شدة مايجد من الحمى فقلت : يارسول الله لو دعوت الله أن يكشف عنك ، فقال : إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . كما في الكنز ٢ /١٥٤ . وأخرجه أحمد والطبراني في الكبير بنحوه ، قال الهيثمى ٢ /٢٩٢ : وإسناده حسن .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ طرقه وجع فجعل يشتكى ويتقلَّب على فراشه ، فقالت له عائشة :

لو فعل هذا بعضنا وَجدتْ عليه ! فقال : إن المؤمنين ليشدَّد عليهم وإنه ليس من مؤمن تصيبه نكبة شوكة ولا وجع إلا كفَّر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة . كما في الكنز ٢ /١٥٤ ، وأخرجه أحمد نحود ، قال الهيثمي ٢ /٢٩٢ : ورجاله ثقات .

صبر أصحاب النبيِّ ﷺ على الأمراض

صبر أهل قباء والأنصار على الحمَّى

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : استأذنت الحمَّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذه ؟ قالت : أم مِلْدَم – كنية الحمى – فأمر بها إلى أهل قباء ، فلقوا منها مايعلم الله فأتود فشكَود ذلك إليه فقال : «ماشئتم إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم وإن شئتم أن تكون لكم طهوراً ، قالوا : أو تفعل ؟ قال : نعم ، قالوا : فدعها . قال في الترغيب ٥ /٢٦٠ : رواه أحمد – ورواته رواة الصحيح – وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه – اهـ .

وعند الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال : استأذنت الحمَّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا الحمَّى أبري اللحم وأمص الدم ، قال : اذهبي إلى أهل قباء فأتتهم فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصفرت وجوههم فشكَوا الحمَّى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماشئتم إن شئتم دعوت الله فدفعها عنكم وإن شئتم تركتموها وأسقطتْ بقية ذنوبكم ؟ قالوا : بلى ؛ فدعها يارسول الله . قال الهيثمي ٢ /٣٠٦ : وفيه هشام بن لاحِق وثَّقه النسائي وضعَّفه أحمد وابن حبان اهـ ، وأخرجه البيهقي عن سلمان نحود ، كما في البداية ٤٦ /١٦٠ .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت الحمَّى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ابعثنى إلى أحب قومك إليك – أو أحب أصحابك إليك ، شك قُرَّة – فقال : اذهبي إلى الأنصار ، فذهبت إليهم فصرعتهم فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله قد أتت الحمى علينا فادع الله لنا بالشفاء ، فدعا لهم فكشفت عنهم ، قال : فاتَّبعته امرأة فقالت : يارسول الله ! أدع الله لي فإنى لمن الأنصار فادع الله لي كما دعوت لهم فقال : أيهما أحب إليك أن أدعو لك فيكشف عنك أو تصبرين وتجب لك الجنة ؟ فقالت : لا والله يارسول الله بل أصبر – ثلاثا – ولا أجعل والله لجنته **خطراً** . كما في البداية ٦ /١٦٠ ، وأخرجه البخاري في الأدب ص ٧٣ عن أبي هريرة بمعناد .

قوله «**خطراً**» أى عوضاً ومثيلًا . ولا تقال هذه الكلمة إلا في الشيء الذي له قدر ومزية .

﴿صبر امرأة أنصارية على داع الصرع﴾

أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﴿ﷺ﴾ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يارسول الله ! إن هذا الخبيث – الشيطان الذي تلبس بها – قد غلبني ، فقال لها : إن تصبري على ماأنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب ، قالت : والذي بعثك بالحق لأصبرنَّ حتى ألقى الله . قالت : إني أخاف الخبيث أن يجرِّدني ، فدعا لها ، فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتعلَّق بها وتقول له : اخسأ فيذهب عنها .

وعند أحمد عن عطاء رضي الله عنه قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما ألا أريك أمرأة من أهل الجنة ؟ .... الحديث . قد ذكرناه في

«باب المسلم يؤجر على المرض الخ» ورواه الشيخان أيضا ثم قال البخاري عن عطاء : أنه رأى أم زُفر رضي الله عنها تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة كما في البداية ٦ /١٦٠ .

﴿صبـر أحـد الأصحـاب علـى الحمَّـى﴾

أخرج الطبراني في الصغير والأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقد النبي ﴿ﷺ﴾ رجلا كان يجالسه فقال : مالي فقدت فلاناً ؟ فقالوا : اعتبط – وكانوا يسمون الوعْك الاعتباط – فقال : قوموا حتى نعوده ، فلما دخل عليه بكى الغلام فقال له النبي ﴿ﷺ﴾ : لاتبك فإن جبريل أخبرني أن الحمى حظ أمتي من جهـنَّـم . وفيه عمر بن راشد ضعَّفه أحمد وغيره ووثقه العِجْلي ، كما في المجمع ٢ /٣٠٦ .

﴿صبـر أبى بكـر وأبي الدرداء رضي الله عنهما﴾

وأخرج ابن سعد ٣ /١٤١ وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية ١ /٣٤ وهناد عن أبي السَّفر قال : دخل على أبي بكر رضي الله عنه ناس يعودونه في مرضه فقالوا : ياخليفة رسول الله ﴿ﷺ﴾ ! **ألا ندعو لك مطيباً – في الحلية وابن سعد : طبيباً – ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إليَّ ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال : قال : ﴿إني فعَّال لما أريد﴾.**
كما في الكنز ٢ /١٥٣ .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ١ /٢١٨ عن معاوية بن قُرَّة أن أباالدرداء رضي الله عنه اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا : ماتشتكى ياأبا الدرداء ؟

قال أشتكى ذنوبي ، قالوا : فما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة ؛ قالوا : أفلا ندعو لك طبيباً ؟ قال هو الذي أضجعني . وأخرجه ابن سعد ٧ /١١٨ عن معاوية مثله .

﴿صبر عبدالله بن مسعود وتوكله رضي الله عنه﴾

وأخرج ابن عساكر عن أبي ظَبْية قال : مرض عبدالله رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان رضي الله عنه **فقال : ماتشتكى ؟ قال ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ، قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطاء؟ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : يكون لبناتك من بعدك ، قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً** ، كما في التفسير لابن كثير ٤ /٢٨٢ .

﴿صبر معاذ وأهله على الطاعون﴾

وأخرج ابن خزيمة وابن عساكر عن عبدالرحمن بن غَنْم قال : وقع الطاعون بالشام فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : إن هذا الطاعون رجس – أى عذاب – ففروا منه في الأودية والشِّعاب ، فبلغ ذلك شُرحبيل ابن حسنة رضي الله عنه فغضب وقال : كذب عمرو بن العاص لقد صحبت رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعمرو أضلُّ من جمل أهله ، إن هذا الطاعون دعوة نبيكم ورحمة ربكم ووفاة الصالحين قبلكم ، فبلغ ذلك معاذاً رضي الله عنه فقال : **اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر** ، فماتت ابنتاه وطُعن ابنه عبدالرحمن

فقال : الحقُّ من ربِّك فلا تكوننَّ من الممترين ، فقال – القائل معاذ وهو يجيب ابنه – ستجدني إن شاء الله من الصابرين . وطُعن معاذ في ظهر كفه **فجعل يقول : هي أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم** ، ورأى رجلًا يبكى عنده فقال : مايبكيك ؟ قال : العلم الذي كنت أصيبه منك ، قال : فلا تبك فإن إبراهيم كان في الأرض وليس بها عالم فآتاه الله علماً فإذا أنا مت فاطلب العلم عند أربعة : عبدالله بن مسعود وعبدالله بن سلام وسلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهم كما في الكنز ٢ /٣٢٥ ؛ وأخرجه أحمد عن عبدالرحمن ابن غَنْم مختصراً والبزار عنه مطوَّلا ، كما في الهيثمى ٢ /٣١٢ وقال : أسانيد أحمد حسان صحاح . وأخرجه الحاكم ١ /٢٧٦ وأبو نعيم في الحلية ١:٢٤٠ عن عبدالرحمن مختصرا ولفظ أبي نعيم :

قال : طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري رضي الله عنهم في يوم واحد فقال معاذ : إنه رحمة ربكم عزوجل ، ودعوة نبيكم ﴿ﷺ﴾ ، وقبض الصالحين قبلكم ، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة ، فما أمسى حتى طعن ابنه عبدالرحمن بِكْره الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه فرجع من المسجد فوجده مكروباً فقال : ياعبدالرحمن كيف أنت ؟ فاستجاب له فقال : ياأبت الحقُّ من ربِّك فلا تكوننَّ من الممترين فقال معاذ : وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين ، فأمسكه ليله ثم دفنه من الغد فطُعن معاذ فقال حين اشتد به النزع : نزع الموت ، فنزع نزعاً لم يُنزعه أحد ، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طَرْفه **ثم قال : رب اخنقني خنقتك فوعزَّتك إنك لتعلم أن قلبي يحبُّك** . وأخرجه أحمد عن أبي منيب مختصراً ورجاله ثقات وسنده متصل ، كما قال الهيثمى ٢ /٣١١ .

﴿صبر أبي عبيدة والمسلمين على الطاعون﴾

وأخرج ابن إسحاق عن شَهر بن حوشب عن رابة – رجل من قومه – قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة رضي الله عنه في الناس خطيباً فقال : أيها النَّاس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن أباعبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه ، فطعن فمات ، واستخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنه فقام خطيباً بعده فقال : أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظَّهم ، فطُعن ابنه عبدالرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطُعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلِّب – في الطبري : يقبِّل – ظهر كفه ثم يقول : **ما أحبُّ أن لي بما فيك شيئا من الدنيا** ، فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص رضي الله عنه فقام فيهم خطيباً فقال : أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه في الجبال ، فقال أبو وائل الهذلي رضي الله عنه : كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنت شر من حماري هذا ! فقال : والله ماأرد عليك ماتقول وايم الله لانقيم عليه – أى لا نبقى في مكاننا – قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ودفعه الله عنهم ، قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رأى عمرو بن العاص فوالله ماكرهه . كذا في البداية ٧ /٧٨ .

﴿قول معاذ في طاعون عمواس﴾

وأخرج أحمد عن أبي قلابة أن الطاعون وقع بالشام فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : إن هذا الرجز قد وقع فتفرقوا عنه في الشعاب

والأودية ، فبلغ ذلك معاذاً رضي الله عنه فلم يصدقه بالذي قال ، قال فقال : بل هو شهادة ورحمة ، ودعوة نبيكم ﴿ﷺ﴾ ، اللهم أعط معاذاً وأهله نصيبهم من رحمتك ، قال أبو قلابة : فعرفت الشهادة وعرفت الرحمة ولم أدرِ مادعوة نبيكم حتى أنبئت أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ بينا هو ذات ليلة يصلى إذ **قال في دعائه** : «**فحمَّى إذاً أو طاعوناً**» – ثلاث مرات – ، فلما أصبح قال له إنسان من أهله : يارسول الله لقد سمعتك الليلة تدعو بدعاء ، قال : وسمعته ؟ قال : نعم ، قال : إني سألت ربي عزوجل أن لا يهلك أمتي بسَنَةٍ – قحط – فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يسلط عليهم عدواً يبيدهم وسألته ، أن لايُلبِسهم شِيَعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فأبى عليَّ – أو قال : فمُنعت – **فقلت** : «**حمَّى إذاً أو طاعوناً**» – يعنى ثلاث مرات ، قال الهيثمى ٢ /٣١١ . رواه أحمد . وأبو قلابة لم يدرك معاذ بن جبل – انتهى .

﴿فرح أبي عبيدة بالطاعون﴾

وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن وجع عَمْواس كان معافىً منه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ثم أهله فقال : «**اللهم نصيبك في آل (أبي) عبيدة** ، فخرجت بأبي عبيدة في خنصره بَثْرة فجعل ينظر إليها فقيل إنها ليست بشيء فقال : إني أرجو أن يبارك الله فيها فإنه إذا بارك الله في القليل كان كثيراً .

وعنده أيضا عن الحارث بن عميرة الحارثي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أرسله إلى أبي عبيدة بن الجراح يسأله كيف هو – وقد طُعن – فأراد أبوعبيدة طعنه خرجت في كفه فتكاثر شأنها في نفس الحارث ، وفَرِق منها حين رآها فأقسم أبو عبيدة بالله مايحب أن له مكانها حُمر النَّعم . كذا في المنتخب ٥ /٧٤ .

﴿صبر أصحاب النبيِّ ﴿ﷺ﴾ على ذهاب بصرهم﴾

﴿صبر زيد بن أرقم رضي الله عنه على فقد بصره﴾

أخرج البخاري في الأدب ص ٧٨ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول : رمدت عينى فعادني النبي ﴿ﷺ﴾ ثم **قال : يازيد لو أن عينك لما بها - أى ذهب - كيف كنت تصنع ؟ قال : كنت أصبر وأحتسب - أى أطلب الثواب من الله - قال : لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة .**

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : دخلت مع النبى ﴿ﷺ﴾ نعود زيد بن أرقم وهو يشتكى عينيه **فقال له : يازيد لو كان بصرك لما به وصبرت واحتسبت لتلقينَّ الله عزوجل ليس عليك ذنب** . قال الهيثمى ٢ /٣٠٨ : وفيه الجُعفي وفيه كلام كثير وقد وثَّقه الثوري وشعبة . انتهى .

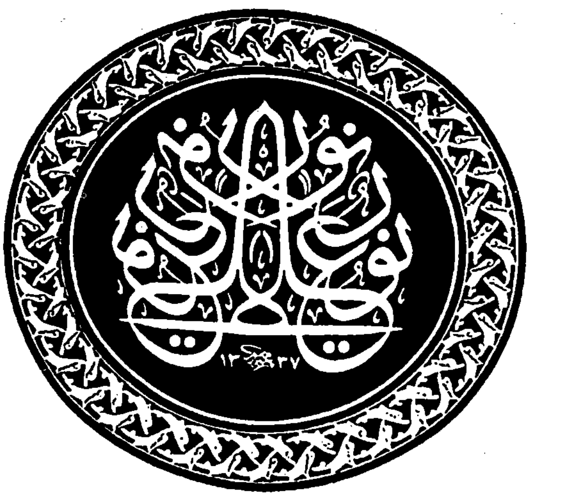
وعند أبي يعلى وابن عساكر عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبى ﴿ﷺ﴾ دخل عليه يعوده من مرض كان به فقال : ليس عليك من مرضك هذا بأس ولكن كيف بك إذا عُمِّرت بعدي فعُميت ؟ قال : إذاً أصبر وأحتسب ، **قال : إذاً تدخل الجنة بغير حساب** . فعمى بعد ممات النبي ﴿ﷺ﴾ . وأخرجه البيهقي عن زيد بمعناه ، كما في الكنز ٢ /١٥٧ ، وأخرجه الطبراني في الكبير عن زيد نحوه وزاد : **فعمى بعدما مات النبى ﴿ﷺ﴾ ثم ردَّ الله عزوجل إليه بصره ثم مات رحمه الله** ؛ قال الهيثمى ٢ /٣٠٩ ونباتة بنت برير بن حماد لم أجد من ذَكَرَها .

﴿صبر بعض الأصحاب على فقد بصره﴾

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٨ عن القاسم بن محمد **أن رجلًا من أصحاب محمد - ﴿ﷺ﴾ ذهب بصره فعاده فقال : كنت أريدهما لأنظر إلى النبيِّ ﴿ﷺ﴾ فأما إذا قُبض النبيُّ ﴿ﷺ﴾ فوالله مايسرُّني أن مابهما بظبي من ظِباء تَبالة .**

قوله تبالة : بلد باليمن (والظبي : الغزال) وأخرجه ابن سعد ٢ /٨٥ عن القاسم نحوه .

نقلت هذه القصص كلها من «حياة الصحابة» طبع دار القلم وهو تأليف الشيخ المحدث محمد يوسف الكاندهلوى رحمه الله تعالى .



الباب الثالث

جواز شكوى المريض

جواز شكوى المريض

وقوله أنا شديد الوجع أو موعوك أو وا رأساه ونحو ذلك

الشكوى إلى الله سبحانه والاستغاثة به ليس فيها شيء فقد قال الله تعالى في كتابه حكاية عن أيوب ﴿ﷺ﴾ : ﴿وأيوب إذ نادىٰ ربَّه أني مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين﴾ ثم وصفه بأنه صابر ونعم العبد قائلا : ﴿إنَّا وجدناه صابراً نِعْم العبد إنه أوَّاب﴾ .

وكذلك شكى يعقوب ﴿ﷺ﴾ غمه وحزنه إلى الله سبحانه فقال : ﴿فصبر جميل﴾ وقال : ﴿إنَّما أشكو بثِّي وحزني إلى الله﴾ .

قال في التفسير المظهري ٦ /٢٢٩ : فإن قيل : إن الله سماه – أى أيوب عليه الصلاة والسلام – صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله : ﴿إني مسَّني الضُّرُّ﴾ و ﴿مسَّني الشيطان بنُصبٍ وعذابٍ﴾ .

قيل : ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى : ﴿فاستجبنا له﴾ والجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق ، وأما الشكوى إلى الله فلا يكون جزعاً ولا ترك صبر كما قال يعقوب – ﴿ﷺ﴾ – : ﴿إنما أشكو بثِّي وحزني إلى الله﴾ .

وقال سفيان بن عيينة : من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راضٍ بقضاء الله لايكون ذلك جزعاً . كما روى أن جبريل دخل على النبي ﴿ﷺ﴾ في مرضه فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدني مغموماً ، أجدني مكروباً ، – وسنبين هذا الحديث بطوله إن شاء الله – .

قلت : – القائل صاحب التفسير المظهري – كذا في حديث أبي هريرة عند ابن الجوزي بلفظ : قال جبريل : إن الله يقرأك السلام ويقول : كيف تجدك ... الحديث . انتهى بحذف .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – اختلف الناس في هذا الباب ، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على دفعه والنفوس مجبولة على وجدان ذلك . وإنما كلف العبد ألَّا يقع منه حال المصيبة المبالغة في التأوّد والجزع الزائد ، وأما مجرد التشكى فجائز ، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه ، وشكواه إنما هي : ذكر المصيبة للناس على سبيل التضجر . كما في شرح السنة للبغوي علق عليه شعيب الأرناؤوط ٤ /٢٢١ .

وقد روى عن طاؤس رحمه الله : أنه كره أنين المريض وقال : إنه شكوى وقرىء قوله هذا على الإمام أحمد في مرض موته فما أنَّ حتى مات رحمه الله . مجموع الفتاوى لابن تيمية كتاب الجنائز ٢٤ /٢٨٤ .

بوَّب البخاري رحمه الله في صحيحه «باب قول المريض إنى وجع أو وا رأساه أو اشتد بي الوجع وقول أيوب عليه الصلاة والسلام ﴿مسَّنى الضُّر وأنت أرحم الراحمين﴾ وسرد الأحاديث بعده كما يلى :

عن يحيى بن سعيد قال سمعت قاسم بن محمد – بن أبي بكر الصديق – قال قالت عائشة : **وا رأساه** فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ذاكِ لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعو لك ، فقالت عائشة : **واثُكلياه** والله إنى لأظنك إنك تحب بموتي ، ولو كان ذلك لظلِلتَ آخر يومك معرِّساً ببعض أزواجك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **بل أنا وا رأساه** لقد هممتُ أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون .

قوله «**وا رأساه**» هو تفجع على الرأس لشدة ماوقع به من ألم الصداع .

قوله «**واثكلياه**» بفتح المثلثة وضمها الموت والهلاك وفقدان الحبيب

أو الولد وليست حقيقة الكلام مرادة بل هو كلام يجرى على ألسنتهم عند التوجع والمصيبة . لمعات .

قوله : «بل أنا وا رأساه» ذكر الشيخ أحمد على السهارنفوري في حاشيته على صحيح البخاري : هي كلمة أضراب والمعنى دعي ذكر ماتجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فإنه أهم من أمرك . قاله الحافظ في الفتح .

قال التيمي في التخيير : قالت عائشة وا رأساه شكت من وجع رأسها ، وخافت الموت على نفسها ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تعيش بعده ، فقال : لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك الخ ثم قال : بل أنا وا رأساه أى لابأس عليك مما تخافين إنك لا تموتين في هذه الأيام لكنى أنا الذي أموت فيها ، وفيه أنه من اشتكى عضواً جاز أن يتأوه منه ، وجواز المزاح لأنه علم أن الأجل لايتقدم ولا يتأخر ، وإنما قال ذلك على طريق الملاعبة ، وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية ، لأنه قد يسكت الإنسان ويكون شاكياً ويذكر وجعه ويكون راضياً فالمعمول على النية لا على الذكر . انتهى ماذكره الشيخ أحمد على السهارنفوري في حاشيته على صحيح البخاري .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبى ﴿ﷺ﴾ وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت : إنك لتوعك وعكاً شديداً قال : أجل كما يوعك رجلان منكم قال : لك أجران ؟ قال : نعم ، ما مِن مسلم يصيبه أذى مَرَضٌ فما سواه إلا حطَّ الله سيِّآته كما تحطُّ الشجرة ورقَها .

وعن عامر بن سعد عن أبيه – ابن أبي وقاص – قال : جاءنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعودني من وجع اشتدَّ بي زمن حجة الوداع فقلت : بلغ بي ماترى وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثَى مالي ؟ قال : لا ، قلت : بالشطر ؟ قال : لا ،

قلت : الثلث ؟ قال : الثُلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكفّفون الناس ، ولن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعل في في - أى فم - امرأتك . انتهى ماذكره البخاري في صحيحه .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : رجع إليَّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ ذات يوم من جنازة من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صُداعاً وأنا أقول : وا رأساه قال : بل أنا ياعائشة ! وارأساه ، قال : وما ضرَّكِ لو مُتِّ قبلي فغسلَتُك وكفنتُك وصليتُ عليك ودفنتُك ، قلت : لكأني بك ، والله لو فعلت ذلك لرجعتَ إلى بيتى فعرستَ فيه ببعض نسائك ، فتبسَّم رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم بُدىء - أى شرع - في وجعه الذي مات فيه . رواه الدارمي كما في المشكاة «باب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم» .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلًا من قريش دخل على أبيه على بن الحسين فقال ألا أحدثك عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ قال : بلى حدِّثنا عن أبي القاسم ﴿ﷺ﴾ ، قال لمَّا مرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ أتاه جبريل ، فقال : يامحمد ! إن الله أرسلنى إليك تكريماً لك وتشريفاً لك خاصة لك ، يسألك عمَّا هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى ياجبريل مغموماً وأجدني ياجبريل مكروباً - أى مهموماً - ثم جاء اليوم الثاني فقال له ذلك فردَّ عليه النبى صلى الله عليه وسلم كما ردَّ أول يوم ، ثم جاءه اليوم الثالث ، فقال له كما قال أول يوم وردَّ عليه كما ردَّ عليه ، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل - هو صاحب سماء الدنيا - على مائة ألف ملك ، كل ملك على مائة ألف ملك ، فاستأذن عليه فسأله عنه ثم قال جبريل : هذا ملك الموت يستأذن عليك ،

ماستأذن على آدمي قبلك ، ولا يستأذن آدمياً بعدك ، فقال : ائذن له ، فأذن له فسلَّم عليه ، ثم قال : يامحمد إن الله أرسلنى إليك فإن أمرتَنى أن أقبض روحك قبضتُ ، وإن أمرتنى أن أتركه تركته ، فقال : وتفعل ياملك الموت ؟ قال : نعم بذلك أمرتُ وأمرتُ أن أطيعك ، قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام ، فقال جبريل : يامحمد ! إن الله قد اشتاق إلى لقائك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لملك الموت : امضِ لما أمرت به ، فقبض روحه ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عـزآء من كل مصيبة ، وخلَفاً – أى عوضاً – من كل هالك ، ودركا – أى تداركاً – من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حُرِم الثواب . قال علي : أتدرون من هذا ؟ هو الخضر عليه السلام . رواه البيهقى في دلائل النبوة كما في المشكاة «باب وفاة النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ »

الباب الرابع

كراهية تمني الموت لضر أصابه

الفصل الأول

كراهية تمني الموت لضر أصابه

عن أنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم : لايتمنَّينَّ أحدكم الموت **من ضُرٍّ أصابه** - أى لأجل مرض - فإن كان لا بد فاعلًا فليقل : اللهم أحينى ماكانت الحياة خيراً لي ، وتوَفَّنى إذا كانت الوفاة خيراً لي . صحيح البخاري «باب نَهْيِ تمنى المريض الموت» ٨٤٧ .

قوله «من ضُر أصابه» قال الحافظ في الفتح ١٠ /١٢٨ : حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوى ، فإن وجد الضر الأخروى بأن خشى فتنة في دينه لم يدخل في النهى ، ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان «لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا» . على أن «في» في هذا الحديث سببية ، أى بسبب أمر من الدنيا .

وقد فعل ذلك جماعة من الصحابة ، ففي الموطأ عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ، ولا مفرط» . أخرجه عبدالرزاق من وجه آخر من عمر رضي الله تعالى عنه .

وأخرج أحمد وغيره من طريق عبس ، ويقال : عابس الغفاري أنه قال : «ياطاعون خذني» ، فقال له عليم الكندي : لـمَ تقول هذا ؟ ألم يقل رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : لايتمنين أحدكم الموت ؟ فقال : إني سمعت يقول : بادروا بالموت ستا : إمرة السفهاء ، كثرة الشرط ، وبيع الحكم ، الحديث .

وأخرج أحمد أيضاً من حديث عوف بن مالك نحوه ، وأنه قيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماعُمِّرَ المُسلِمُ كان خيراً له . الحديث . وفيه الجواب نحوه .

وأصرح منه في ذلك حديث معاذ – رضي الله عنه – الذي أخرجه أبوداود وصححه الحاكم ، في القول في دبر كل صلاة ، وفيه : «إذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون» . انتهى كلام الحافظ .

قال الراقم : وفي رواية له أخرى – أى لأبي داود – قول دحية بن خليفة رضي الله عنه : لما رأى أصحابه الذين رغبوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصيام في السفر قال : «والله لقد رأيت اليوم أمراً ماكنت أظن أنى أراه ، أن قوماً رغبوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يقول ذلك للذين صاموا ثم قال عند ذلك : «اللهم اقبضنى إليك» راجع السنن لأبي داود كتاب الصوم «باب مسيرة مايفطر فيه الصائم» انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايتمنِّين أحدكم الموت ، ولا يَدْع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات انقطع أمله وإنه لايزيد المؤمن عمره إلا خيراً . رواه مسلم في صحيحه كما في المشكاة «كتاب الجنائز» .

قال في المرقاة : قال التوربشتى : النهى عن تمنى الموت وإن كان مطلقاً لكن المراد به المقيد لما في حديث أنس : لايتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه وقوله عليه الصلاة والسلام : وتوفَّنى إذا كانت الوفاة خيراً لي ، فعلى هذا يكره تمنى الموت من ضر أصابه في نفسه وماله لأنه في معنى التبرم من قضاء الله تعالى ، ولا يكره التمنى لخوف فساد في دينه . انتهى .

قوله ﴿ﷺ﴾ : «وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً» كما في رواية لأحمد عن أبي هريرة قال : كان رجلان من بلي وهم حي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فاستشهد أحدهما ، وأخر الآخر سنة ، قال طلحة بن عبيدالله : فرأيت الجنة ، فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد ، فتعجبت لذلك ، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﴿ﷺ﴾ فقال : أليس قد صام بعده رمضان ، وصلى ستة آلاف ركعة ، أو كذا وكذا ركعة ، صلاة السنة» .

وله عن طلحة مرفوعاً «ليس أحد أفضل عندالله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله» .

وعن أبي بكرة أن رجلًا قال : يارسول الله ! أيُّ الناس خير ؟ قال : من طال عمره ، وحسن عمله ، قال : فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره ، وساء عمله . صححه الترمذي . .

قال الراقم : هذه الروايات الثلاث المذكورة أعلاه مقتنصة من رسالة «أحكام تمنى الموت» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

وعن قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خَبَّاب نعوده ، وقد اكتوى سبع كياتٍ ، فقال : إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا **ولم تنقُصهم الدنيا** وإنَّا أصبنا ما لانجد له موضعاً إلا التراب – يعنى البنيان – ولو لا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندْعوَ بالموت لدعَوت به ، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يَبنى حائطاً له ، فقال : إن المسلم يُوجر في كل شيء إلا في شيء يجعله في هذا التراب . صحيح البخاري «باب نهى تمنى المريض الموتَ» ص٨٤٧

قوله «لم تنقصهم الدنيا» قال الحافظ في الفتح : أى لم تنقص أجورهم بمعنى أنهم لم يتعجلوها في الدنيا ، بل بقيت موفورة لهم في الآخرة ،

وكأنه عنى بأصحابه بعض الصحابة ممن مات في حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأما من عاش بعده فإنهم اتسعت لهم الفتوح ، ويؤيده حديثه الآخر : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئا ، منهم مصعب بن عمير .

ويحتمل أن يكون عن جميع من مات قبله وإن من اتسعت له الدنيا لم يؤثر فيه ، إما لكثرة إخراجهم المال في وجوه البر ، أو كان من يحتاج إليه إذا ذاك كثيراً ، فكانت تقع الموقع ، ثم لما اتسع المال جداً وشمل العدل في زمن الخلفاء الراشدين استغنى الناس بحيث صار الغنى لا يجد محتاجاً يضع بره فيه ، ولهذا قال خباب ابن الأرت : لانجد له موضعاً إلا التراب أى الانفاق في البنيان ، وأغرب الداودى فقال : أراد خباب بهذا القول الموت أى لانجد للمال موضعاً إلا القبر . انتهى . كما في حاشية صحيح البخاري للشيخ أحمد على السهارنفوري .

وعن حارثة بن مضرب قال دخلت على خباب وقد اكتوى سبعاً ، فقال : لولا إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لايتمنَّى أحدكم الموت لتمنَّيته ، ولقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأملك درهماً ، وإن في جانب بيتى لأربعين ألف درهم ، قال : ثم أتى بكفنه فلما رآه بكى ، وقال : لكن حمزة لم يوجد له كفن إلا بردة ملحاء إذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه حتى مدت على رأسه وجعل على قدميه الإذخر . رواه أحمد والترمذي إلا أنه لم يذكر : ثم أتى بكفنه إلى آخره . كما في المرقاة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لن يُدخِل أحداً عمله الجنةَ ، قالوا : ولا أنت يارسول الله !؟ قال :

ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله بفضل ورحمة فسدِّدوا وقاربوا ، ولا يتمنَّى أحدكم الموت إمَّا محسناً **فلعله أن يزداد خيراً** ، وإما مسيئاً فلعله أن يَستعتِب . - أى يسترضي : أى يطلب رضاء الله عنه بالتوبة - رواه البخاري في صحيحه «باب نهى تمنى المريض الموت» .

قوله «فلعلَّه أن يزداد خيراً» قال في المرقاة : وقد ورد في الحديث : طوبىٰ لمن طال عمره وحسن عمله» وفي لفظ : «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالًا» . والحديث الأول رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية ، والثاني رواه الحاكم ، وأما مانقله ابن حجر بلفظ : «خياركم من طال عمره وحسن عمله» فلا أصل له وإنما هو ملفق من حديثين . اهـ .

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتمنوا الموت ، **فإن هول المطلع** - أى سكرات الموت - شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله عزوجل الإنابة . رواه أحمد كما في المشكاة «باب تمنى الموت وذكره» .

قوله : «فإن هول المطلع الخ» قال في المرقاة : بضم الميم وتشديد الطاء وفتح اللام موضع اطلاع من إشراف إلى انحدار ، والمراد مايطلع عليه العبد من أهوال الآخرة وفي مواقف القيامة ، أو أمور يطلع عقب الموت من أحوال البرزخ ، وبه فسروا قول عمر : «لو أنَّ لي مافي الأرض لأفتديت به من هول المطلع» - اللهم احفظنا منه آمين يارب العالمين - .

وقال الطيبى : يريد به مايشرف عليه العبد من سكرات الموت ، فإنه إنما يتمنَّاه من قلَّة صبر وضجر ، فإذا جاءه متمنَّاه يزداد ضجراً ، فيستحق مزيد سخط على سخط ، يعنى أي فائدة في تمنى الموت إلا تمنى الشدائد والآلام وليس ذلك من شأن العاقل . انتهى ماذكره في المرقاة .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكَّرنا ورقّقنا ، فبكى سعدٌ بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، فقال : ياليتنى متُّ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **ياسعد ! أعندي تتمنى الموت** ؟ فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : ياسعد ! إن كنت خُلقت للجنة فما طال عمرك وحسن من عملك ، **فهو خير لك** . رواه أحمد كما في المشكاة «باب تمنى الموت وذكره» .

قوله ﷺ : «ياسعد ! أعندي تتمنى الموت» قال في اللمعات : وتمنّيه منهى عنه ، أو المراد بحضرتى وحياتى تتمنى الموت وحضورك عندي ومشاهدتك بجمالي وكمالي خير لك من الموت وإن حصل لك بعد الموت درجات ، فكل ذلك لا يوازى النظر إلى وجهى ، ولنعم ماقال بعض الفقراء حين سئل أن الحياة خير للمؤمن أو الممات ؟ فأجاب : بأن في زمان النبوَّة الحياة خير وبعده الممات انتهى .

وقال ابن حجر : تتمنى الموت وقد نهيت عن تمنيه ، لما فيه من النقص وعدم الرضا ، وفيه أن تمنيه لم يكن على عدم الرضا منه رضي الله عنه بل خوفاً على نفسه من نقصان في دينه ، وهو مستثنى كما صرح به العلماء . انتهى قول ابن حجر رحمه الله .

قوله «فهو خير لك» قال في المرقاة : وحذف الشق الآخر من الترديد وهو إن كنت خلقت للنار فلا خير في موتك ولا يحسن الإسراع إليه ، ولا يخفى مافى الحذف من اللطف ، والجملة جزاء لقوله إن كنت خلقت .

قال الطيبى فإن قيل هو من العشرة المبشرة فكيف قال إن كنت ؟ أجيب بأن المقصود التعليل ولا الشك .

وأخرج الطبراني عن عروة بن رُوَيم عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه ، وكان شيخاً كبيراً من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، **وكان يحب أن يُقبض وكان يدعو : اللهم كبرت سني ، ورق عظمي ، فاقبضني إليك** ، قال : فبينا أنا يوماً في مسجد دمشق ، إذا فتىً شاب من أجمل الرجال ، وعليه دُواج أخضر – اللحاف الذي يلبس – فقال : ماهذا الذي تدعو ؟ فقلت : كيف أدعو ياابن أخي ؟ قال : قل اللهم حسِّن العمل ، وبلِّغ الأجل **قلتُ من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا ريبائيل الذي يسل الحزن من قلوب المؤمنين** . قال الهيثمي ١٠ /١٨٤ : وعروة وثقه غير واحد وسعيد بن مقلاص لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انتهى .

وأما ماحكاه لنا القرآن عن سيدنا يوسف الصديق على نبينا و عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى على لسانه ﴿أنت وليِّ في الدنيا والآخرة توفَّنى مسلماً والحقنى بالصالحين﴾ سورة يوسف : ١٠١ .

فأجاب عنه الحافظ ابن كثير مفسراً لقوله تعالى المذكور ٢ /٤٩٢ /٤٩٣

هذا دعاء من يوسف الصديق دعابه ربه عزوجل لما تمت نعمة الله عليه بإجتماعه بأبويه وإخوته وما منَّ الله به عليه من النبوة والمُلك ، سأل ربه عزوجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة ، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول «اللهم في الرفيق الأعلى» ثلاثا .

ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره ، لا أنه سأله ذلك منجزا كما يقول الداعى لغيره أماتك الله على الإسلام ، ويقول الداعى : اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائغاً في ملتهم كما قال قتادة قوله ﴿توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾ لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها اشتاق إلى الصالحين قبله .

وكان ابن عباس يقول : ماتمنى نبى قط الموت قبل يوسف عليه السلام . وكذا ذكر ابن جرير والسدى عن ابن عباس أنه أول نبى دعا بذلك .

وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحاً أول من قال : ﴿رب اغفرلي ولوالديَّ ولمن دخل بيتى مؤمناً﴾ .

ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك وهو ظاهر سياق قوله قتادة .

ولكن هذا لايجوز في شريعتنا ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به الحديث وأخرجاه في الصحيحين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أنه قال لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله ، فإنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لايزيد المؤمن عمله إلا خيراً. تفرد به أحمد .

وهذا فيما إذا كان الضر خاصاً به ، وأما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى إخباراً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ .

وقالت مريم لما أجاءها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة ﴿ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت وقد قالوا ﴿يامريم لقد جئت شيئا فريّاً ، ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيّاً﴾ فجعل الله لها من ذلك الحال فرجاً ومخرجاً وأنطق الصبى في المهد : بأنه عبدالله ورسوله ، فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه .

وفي حديث معاذ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون» .

وقال الإمام أحمد .... عن محمود بن لبيد مرفوعاً أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : «اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب» فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت .

ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لاتجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال : اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئمونى .

وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ماجرى قال : اللهم توفنى إليك .

وفي الحديث «إن الرجل ليمر بالقبر فيقول : «ياليتني مكانك»

لما يرى من الفتن والزلازل والبلابل والأمور الهائلة التى هى فتنة لكل مفتون انتهىٰ ماذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله بحذف .

وأما قول مريم عليها السلام : ﴿قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ سورة مزيم : ٢٣ .

قال الحافظ ابن كثير ٣ /١١٧ /١١٨ : فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتنة فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لايحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها في خبرها وبعد ماكانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت : ﴿ياليتنى مت قبل هذا﴾ أى قبل هذا الحال ﴿وكنت نسياً منسيّاً﴾ أى لم أخلق ولم أك شيئاً قاله ابن عباس .

وقال السدى قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتنى مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتى المولود من غير بعل الخ انتهى ماذكره الحافظ ابن كثير بحذف .

الفصل الثاني

الوعيد على من قتل نفسه لضر أصابه

إن من الناس مَن إذا أصابه المرض الطويل أو الكرب العظيم أو القحط أو شيء ممَّا ابتلاه الله العبد به من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس فيجزع المصاب به ويفزع ، ولا يصبر عليه صبراً جميلًا ، ويسبُّ نفسه وخالقه -- معاذ الله -- الذي خلقه فسواه وأعطاه الصحة إلى مدة مديدة فنسيه ، ويظن أن لا نجاة ولا خلاص من هذا الكرب إلا بقتل نفسه حتى يقتلها فيؤدي نفسه بفعلته التى فعل إلى أربعة أذرع من الأرض في بيت الغربة والوحشة والظلمة -- إلا ماشاء الله -- . وقد ورد الوعيد الشديد في هذا الباب . اللهم احفظنا جميعاً من هذا الفعل القبيح الشنيع .

قد بوَّب البخاري في صحيحه «باب ماجاء في قاتل النفس» وأورد الأحاديث كما يلى :

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبى «ﷺ» قال : من حلف بملةٍ غير الإسلام كاذباً متعمِّداً فهو كما قال ، ومَن قتل نفسه بحديدة عُذِّب بها في نار جهنم .

وقال حجاج بن منهال حدثنا جرير بن حازم عن الحسن : حدَّثنا جُندُب رضي الله عنه في هذا المسجد فما نسيناه وما نخاف أن يَكذِب جُندَبٌ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : كان برجلٍ جِراح فقتل نفسه ، فقال الله : بَدرني عبدي بنفسه ، حرَّمت عليه الجنة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبى «ﷺ» : الذي يَخنُقُ نفسه يَخنُقها في النار ، والذي يَطعُنُها يَطعُنُها في النار . انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسَّى – أى شرب – سماً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنَّم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدتُه في يده يتوجَّأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبدا . رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة «كتاب القصاص» .

وعن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسيّ لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه وهاجر معه رجل من قومه فمرض فجزع فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه فشخبت يداه – أى سالَت دمهما – حتى مات فرآه الطفيل بن عمرو في منامه وهيئة حسنة ورآه مغطِّياً يديه فقال له : ماصنع بك ربُّك فقال : غفرلي بهجرتي إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالي أراك مغطِّياً يديك ؟ قال : قيل لي لن نُصلح منك ماأفسدتَّ ، فقصَّها الطفيل على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال : رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : اللهم ولِيَديه فاغفر . رواه مسلم كما في المشكاة (كتاب القصاص) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : مرض رجل فصيح عليه فجاء جاره إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال : إنه قد مات ، قال : وما يدريك ؟ قال : أنا رأيته ، قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : إنه لم يمت ، قال : فرجع فصيح عليه فجاء إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال : إنه قد مات ، فقال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : إنه لم يمت قال : فرجع فصيح عليه ، فقالت امرأته : إنطلق إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأخبره ، فقال الرجل : اللهم العنه ، قال ثم انطلق الرجل فرآه قد نحر نفسه بمشقص معه ، فانطلق إلى النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأخبره أنه قد مات ، قال :

وما يدريك ؟ قال رأيته ينحر نفسه بمشاقص معه ، قال : أأنت رأيته ، قال : نعم ، قال إذاً **لا أصلي عليه** . رواه أبو داود في كتاب الجنائز .

قوله : « **لا أصلي عليه** » قال الإمام النووي رحمه الله : أتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه . في هذا الحديث دليل لمن يقول : لا يصلى على قاتل نفسه لعصيانه ، وهذا مذهب عمر بن عبدالعزيز والأوزاعي ، وقال الحسن والنخعي وقتادة ومالك وأبوحنيفة والشافعي وجماهير العلماء : يصلى عليه ، وأجابوا عن هذا الحديث بأن النبي ﴿ﷺ﴾ لم يصل عليه بنفسه زجراً للناس عن مثل فعله ، وصلت عليه الصحابة ، وهذا كما ترك النبي ﴿ﷺ﴾ الصلاة في أول الأمر على من عليه دين زجراً لهم عن التساهل في الاستدانة وعن إهمال وفائها وأمر أصحابه بالصلاة عليه فقال ﴿ﷺ﴾ : صلوا على صاحبكم .

قال القاضي : مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم : محدود ومرجوم ، وقاتل نفسه ، وولد الزنا . وعن مالك وغيره أن الإمام يجتنب الصلاة على مقتول في حد ، وأن أهل الفضل لا يصلون على الفساق زجراً لهم ، وعن الزهري لا يصلى على المرجوم ويصلى على المقتول في قصاص ، وقال أبوحنيفة : لايصلى على محارب ولا على قتيل الفئة الباغية ، وقال قتادة : لا يصلى على ولد الزنا ، وعن الحسن لا يصلى على النفساء تموت من الزنا ولا على ولدها اهـ من التعليق المحمود على سنن أبي داود .

وعن سعيد بن المسيب أن أباهريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لرجل ممن يدعى الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتالُ قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، فكاد بعض الناس يرتاب

فوجد الرجل أَلْمَ الجراحة فأهوى بيده إلى كِنانته فاستخرج منها أسهماً فنحربها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يارسول الله - ﴿ﷺ﴾ - صدَّق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال : قم يافلان فأذِّن أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر . صحيح البخاري «كتاب المغازي» «باب غزوة خيبر» .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدَعُ لهم شاذَّة ولا فاذَّةً إلا اتَّبعها يضربها بسيفه ، فقال : ماأجزأ منَّا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : أمَا إنه من أهل النار ، فقال رجل من القوم : أنا صاحبه ، قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه ، قال : فجُرح الرجلُ جُرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذُبابه بين ثَدييه ثم تحامل - أى مال - على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وماذاك ؟ قال الرجل الذي ذكرَت آنفاً إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه فجُرح جُرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نسل سيفه في الأرض وذُبابَه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ عند ذلك : إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة . المصدر السابق المذكور .

وفي الحديث : التحذير من الاغترار بالأعمال . فافهم حق الفهم .

الباب الخامس

في عيادة المريض والأجر عليها

الفصل الأول

عيادة المريض والأجر عليها

عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : أطعموا الجائع وعُودوا المريض وفكُّوا العانى – أى الأسير – .

وعن البراء – رضي الله عنه – قال أمرنا النبي ﴿ﷺ﴾ بسبع ، ونهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإجابة الداعى ، ونصر المظلوم وإبرار القسم ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، ونهانا عن آنية الفضة ، وخاتم الذهب والحرير والديباج والقسيِّ والإستبرَق . رواهما البخاري في كتاب الجنائز «باب الأمر بإتباع الجنائز» .

قال العيني في عمدة القاري شارحاً لهذا الحديث : الوجه الثاني في عيادة المريض : هى سنة ، وقيل : واجبة بظاهر حديث أبي هريرة – وهو :

أن أباهريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : حق المسلم على المسلم خمس : ردُّ السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس – .

وقد روى في ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم – ثم سرد أسماء الصحابة رضي الله عنهم – وهم أبو موسى وثوبان وأبوهريرة – إلى قوله – وأم سليم وأم العلاء . ثم قال :

فحديث أبي موسى – رضي الله عنه – عند البخاري «عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني» .

وحديث ثوبان عند مسلم : «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع ، قيل : يارسول الله ! وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها .

وحديث أبي هريرة عند البخاري – كما مر آنفاً – .

وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الترمذي «مامن مسلم يعود مسلماً إلا يبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه أى ساعة من النهار كانت حتى يمسى وأى ساعة من الليل حتى يصبح» .

وحديث أبي أمامة عند أحمد « من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو يده ويسأله كيف هو ؟» .

وحديث جابر بن عبدالله عند أحمد أيضاً : «من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها» .

وحديث جابر بن عتيك عند أبي داود «إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عاد عبدالله ابن ثابت» الحديث مطولا .

وحديث أبي مسعود عند الحاكم «للمسلم على المسلم أربع خلال : يشمته إذا عطس ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشهده إذا مات ، ويعوده إذا مرض» .

وحديث أبي سعيد عند ابن حبان «عودوا المريض واتبعوا الجنائز» .

وحديث عبدالله بن عمر عند مسلم «من يعود منكم سعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشرة» .

وحديث أنس – رضي الله عنه – عند البخاري «عاد النبى ﴿ﷺ﴾ غلاماً يهوديا كان يخدمه» .

وحديث أسامة بن زيد عند الحاكم قال «خرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعود عبدالله بن أبي في مرضه الذي مات فيه» .

وحديث زيد بن أرقم «عادني رسول الله ﴿ﷺ﴾ من وجع كان بعينى» . وقال الحاكم صحيح على شرطهما .

وحديث سعد بن أبي وقاص عند الحاكم قال : «اشتكيت بمكة فجاءنى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعودني فوضع يده على جبهتى» .

وحديث ابن عباس عند الحاكم أيضاً «من عاد أخاه المسلم فقعد عند رأسه» الحديث . وقال : صحيح على شرط البخاري .

وحديث عمرو عنده أيضاً «إذا عاد أحدكم مريضاً فليقل اللهم اشف عبدك» وقال صحيح على شرط مسلم .

وحديث أبي أيوب عند ابن أبي الدنيا «عاد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رجلا من الأنصار فأكب عليه يسأله ، قال يارسول الله ! ماغمضت منذ سبع ليال ، ولا أحد يحضرني ، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : أى أخى ! أصبر ، أى أخي ! أصبر ، تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها» .

وحديث عثمان عند [1] قال : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عودني وأنا مريض ، فقال أعيذك بالله الأحد الصمد» الحديث وسنده جيد .

وحديث كعب بن مالك عند الطبراني في الكبير «من عاد مريضاً خاض في الرحمة ، فإذا جلس استنقع فيها» .

وحديث عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عند الطبراني أيضاً «من عاد مريضاً فلايزال في الرحمة حتى إذا قعد عنده استنقع فيها ، ثم إذا خرج من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يروح من حيث خرج» .

---

(١) كذا بياض في عمدة القاري .

وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ابن مردويه «قال يارسول الله مالنا من الأجر في عيادة المريض ؟ فقال : إن العبد إذا عاد المريض خاض في الرحمة إلى حقوه» .

وحديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه عند ابن أبي شيبة في مصنفه قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : «من عاد مريضاً أو أماط أذى عن الطريق فحسنته بعشر أمثالها» .

وحديث سلمان عند الطبراني قال «دخل عليَّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعودني فلما أراد أن يخرج قال : ياسلمان ! كشف الله ضرك وغفر ذنبك وعافاك في دينك وجسدك إلى أجلك» .

وحديث عثمان بن أبي العاص عند الحاكم في المستدرك «جاءنى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعودني من وجع اشتد بي» .

وحديث عوف بن مالك عند الطبراني عن النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ «قال : «عودوا المريض واتبعوا الجنازة» .

وحديث أبي الدرداء عند الطبراني أيضاً «أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :إن الرجل إذا خرج يعود أخاه مؤمنا خاض في الرحمة إلى حقويه ، فإذا جلس عند المريض فاستوى جالساً غمرته الرحمة» .

وحديث صفوان بن عسال عند الطبراني أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من زار أخاه المؤمن خاض في الرحمة حتى يرجع ومن زار أخاه المؤمن خاض في رياض الجنة حتى يرجع» .

وحديث معاذ بن جبل عند الطبراني أيضاً «قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله تعالى ، من عاد مريضاً أو خرج مع جنازة أو خرج غازيا أو دخل على إمامه يريد تعزيزه وتوقيره أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس» .

وحديث جبير بن مطعم عنده أيضا قال «رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ عاد سعيد بن العاص فرأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يكمده بخرقة» .

وحديث عائشة رضي الله قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «العيادة سنة عودوا غباً ، فإن أغمى على مريض فحتى يفيق».

وحديث فاطمة الخزاعية عند ابن أبي الدنيا قالت : «عاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة من الأنصار فقال : كيف تجدك ؟ قالت : بخير يارسول الله» الحديث .

وحديث أم سليم عند ابن أبي الدنيا أيضا في كتاب المرضى كفارات قالت : «مرضت فعادني رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : ياأم سليم ! اتعرفين النار والحديد وخبث الحديد ؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : فابشري ياأم سليم فإنك إن تخلصى من وجعك هذا تخلصى منه كما يخلص الحديد من النار من خبثه» .

وحديث أم العلاء عند أبي داود قالت : «عادني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا مريضة» الحديث ..... انتهى ماقاله العينى .

وأخرج البخاري في الأدب المفرد ص ٧٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائماً ؟

قال : أبوبكر رضي الله عنه أنا ، قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبوبكر : أنا ، قال : من شهد منكم اليوم جنازة ؟ قال أبوبكر : أنا ، قال : من أطعم اليوم مسكيناً ؟ قال أبوبكر : أنا . قال مروان : بلغني أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال : «ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة .

وأخرج أحمد ١ /٩٧ عن عبدالله بن يسار أن عمرو بن حُريث عاد الحسن بن علي – رضي الله عنهما – فقال له علي : أتعود الحسن وفي نفسك مافيها ؟ فقال له عمرو إنك لست بربِّي فتصرف قلبي حيث شئت ، قال علي رضي الله عنه : أما إن ذلك لا يمنعنا أن نؤدى إليك النصيحة ، سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول : ما من مسلم عاد أخاه إلا ابتعث الله له سبعين ألف مالك يصلون عليه من أيِّ ساعات النهار كان حتى يمسى ، ومن أيِّ ساعات الليل كان حتى يصبح . وأخرجه البزار ، قال الهيثمى ٣ /٣١ : ورجال أحمد ثقات .

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٨ عن عبدالله بن أبي الهذيل قال : دخل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على مريض يعوده ومعه قوم **وفي البيت امرأة فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة ، فقال له عبدالله** : **لو أنفقأتْ عينك كان خيراً لك .**

أخرج البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : عاد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رجلًا من الأنصار ، فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل ، فلما استأذن عليه ، دخل (عليه) فلم يَر أحداً ، فقال له رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : سمعتك تكلم غيرك ، قال : يارسول الله ، لقد دخلتُ الداخل

اغتماما بكلام الناس مما بي **من الحمى** ، فدخل عليَّ داخل ، مارأيت رجلًا (قط) بعدك أكرم مجلساً ، ولا أحسن حديثاً منه ، قال : «ذاك جبريل ، وإن منكم لرجالًا لو أن أحدهم يُقسم على الله لأبره . قال الهيثمي ١٠ /٤١ رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وأسانيدهم حسنة . انتهى .

وقال في الهامش : وحسنه الحافظ في زوائد البزار . راجع «حياة الصحابة تأليف الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله .

قوله : «**من الحمى**» قال في «حياة الصحابة» المعنى : لقد دخلت إلى الداخل من غمي من كلام الناس ، وفي المجمع : «لو دخلت الداخل اغتماماً من كلام الناس مماتي من الحمى» وهو كلام مصحَّف ، وقد صححناه من مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق لمعجم الطبراني الكبير . انتهى .

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٢ عن عبدالرحمن بن سعيد عن أبيه قال كنت مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضاً في كندة ، فلما دخل عليه قال : أبشر فإن مَرَض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً – مسترضىً – وإن مرَض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدرى لمَ عُقل ولِم أرسل .

وأخرج أحمد عن أبي فاخِتة قال : عاد أبوموسى الأشعري الحسن بن علي – رضي الله عنهم – قال : فدخل علي فقال : أعائداً جئت ياأبا موسى أم زائراً فقال : ياأمير المؤمنين لا ، بل عائداً ، فقال علي رضي الله عنه : فإني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ماعاد مسلم مسلماً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك من حين يصبح إلى أن يمسى وجعل الله تعالى له خريفاً في الجنة . الحديث .

وعن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﴿ﷺ﴾ المدينة وُعك أبو بكر وبلال ، قالت : **فدخلت عليهما** فقلت : ياأبت كيف تجدك ؟ ويابلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئٍ مصبَّح في أهله
والموت أدنى من شِراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول :

ألا ليت شِعرى هل أبيتنَّ ليلة
بِوادٍ وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنَّة
وهلْ يَبدُون لي شامة وطَفيل

قالت عائشة : فجئت إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأخبرته ، فقال : اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكَّة أو أشدَّ ، اللهم وصحِّحْها وبارك لنا في مدِّها وصاعها ، وانقُل حمَّاها فاجعلها بالجحفة . صحيح البخاري «باب عيادة النساء الرجال» .

قوله «فدخلت عليهما» لعيادتهما وهما متوعكان .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبى ﴿ﷺ﴾ دخل على أعرابي يعوده ، قال : وكان النبى ﴿ﷺ﴾ إذا دخل على مريض يعوده ، قال له : لا بأس طهور إن شاء الله – أى هو طهور لك من ذنوبك أى مطهر – قال : كلا بل هى حمى تفور أو تثُور ، على شيخ كبير تُزيره القبور ، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ : فنَعَم إذاً . صحيح البخاري «باب عيادة الأعراب» .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ماهن يارسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمدالله فشمته ، **وإذا مرض فعده** ، وإذا مات فاتبعه . رواه مسلم كما في المشكاة «باب عيادة المريض» .

قوله «إذا مرض فعده» قال في المرقاة : ولو مرة ، وما اشتهر في مكة أن بعض الأيام لايعاد المريض فيها فلا أصل له بل يبطله ماورد في تفسير قوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ إن المراد به العيادة ونحوها ، وزعم أن السبت لايعاد فيه مما أدخله يهودى على المسلمين لأنه كان يطب ملكاً فأمره بالمجيىء إليه يوم سبته فخشى من قطعه فقال له : إن دخول الطبيب على المريض يوم السبت لايصلح .

قال ابن حجر : وقول بعض أصحابنا : تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهاراً غريب اهـ ، ويمكن أن يوجه بأن المقصود من العيادة حصول التسلى والاشتغال بالأصحاب والأحباب حالة التخلى ، فإن لقاء الخليل شفاء العليل مع مافيه من التوجه إلى الجناب العلى ، والتضرع بالدعاء الجلى والخفى ، ولما كان ليل الشتاء ونهار الصيف طويلًا ناسب أن يشغلوه عما فيه من الألم ويخففوه عنه حمل السقم بالحضور بين يديه والتأنس بالكلام والدعاء والتنفيس لديه ، وهذا أمر مشاهد من ابتلى به لايخفى عليه . انتهى .

قوله «حق المسلم على المسلم ست» قال في المرقاة : هذا الحديث لايناقض الأول في العدد – أى المذكور فيه : حق المسلم على المسلم خمس – فإن

هذا زائد والزيادة مقبولة ، والظاهر أن الخمس مقدم في الصدور ومن قال : لفلان عليَّ خمسة دراهم وكانت ستة كان صادقاً ، ولو قال مرة أخرى لفلان عليَّ ستة دراهم كان أيضا صادقاً . انتهى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **ماتَ إنسان كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يَعُوده** ، فمات بالليل ، فدفنوه ليلًا ، فلما أصبح أخبروهُ فقال : مامنعكم أن تُعلِموني ؟ قالوا : كان الليلُ فكرهنا – وكانت ظلمة – أن نَشُقَّ عليك ، فأتى قبره فصلَّى عليه . رواه البخاري «باب الإذن بالجنازة» .

قوله «مات إنسان كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعوده» قال الحافظ في الفتح شارحا لهذا الحديث : وقع في شرح الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن أنه الميت المذكور في حديث أبي هريرة الذي كان يقم المسجد وهو وهم منه لتغاير القصتين ، فقد تقدم أن الصحيح في الأول أنها امرأة وأنها أم محجن .

وأما هذا فهو رجل واسمه طلحة بن البراء بن عمير البلوى حليف الأنصار ، روى حديثه أبوداود مختصرا والطبراني من طريق عروة بن سعيد الأنصاري عن أبيه – عن حسين بن وحوح الأنصاري وهو بمهملتين بوزن جعفر – .

«إن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبى ﴿ﷺ﴾ يعوده فقال : إنى لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنونى به وعجلوا» فلم يبلغ النبى ﴿ﷺ﴾ بنى سالم بن عوف حتى توفى ، وكان قال لأهله لما دخل الليل : إذا مت فادفنوني ولا تدعوا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فإنى أخاف عليه يهوداً أن يصاب بسببي ، فأخبر النبى ﴿ﷺ﴾ حين أصبح ، فجاء حتى وقف على قبره فصف الناس معه ، ثم رفع يديه فقال :

«اللهم الق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه».

انتهى ماقاله الحافظ في الفتح

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : اشتكى سعدُ بن عبادة شَكوَى له ، فأتاه النبي ﴿ﷺ﴾ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضَى ، قالوا : لا يارسول الله ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى القومُ بُكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكَوا ، فقال : ألا تسمعون إن الله لا يعذِّب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذِّب بهذا وأشار إلى لسانه أو يَرْحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا ويرمى بالحجارة ويحْثى بالتراب . صحيح البخاري «باب البكاء عند المريض»

قال العينى شارحاً لهذا الحديث : ذكر مايستفاد منه : فيه استحباب عيادة الفاضل المفضول ، واستحباب عيادة المريض ، وفيه النهى عن المنكر وبيان الوعيد عليه ، وفيه جواز البكاء عند المريض ، وفيه جواز اتباع القوم للباكى في بكائه . وفيه أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه انتهى .

وعن أنس – رضي الله عنه – أن غلاماً ليهود كان يخدُم النبى ﴿ﷺ﴾ فمرض فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقال : أسلم فأسلم . وقال سعيد بن المسيب عن أبيه – هو ممن بايع تحت الشجرة – لما حُضر – أى حضر الموت عنده – جاءه النبىَ ﴿ﷺ﴾ . صحيح البخاري : «باب عيادة المشرك» .

وأخرجه ابن السنى في كتابه «عمل اليوم والليلة» رقم الحديث ٥٥٤ أطول من هذا حيث قال :

أخبرني أبو عروبة .... عن أبي بريدة عن أبيه قال : كنا جلوسا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهبوا بنا نعود جارنا اليهودي ، قال : فأتيناه ، فقال : كيف أنت يافلان ؟ فسأله ثم قال : يافلان ! اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فنظر الرجل إلى أبيه وهو عند رأسه ، فلم يكلمه ، فسكت ، فقال : يافلان ! اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فنظر الرجل إلى أبيه ، فلم يكلمه ثم سكت ، ثم قال : يافلان ! اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فقال له أبوه : اشهد له يابنيَّ ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال : الحمد لله الذي أعتق رقتبه من النار .

ورواه أبوداود في سننه مختصرا منه «باب عيادة الذمي» .

وعن ثابت البناني عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بُوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفاً ، قلت : يا أباحمزة ! وما الخريف ؟ قال : العام . قال أبو داود : والذي تفرد به البصريون منه العيادة وهو متوضىء . رواه أبوداود في سننه «باب في فضل العيادة على الوضوء» .

وروى أبوداود في الباب المذكور حديثاً آخر عن علي - رضي الله عنه - قال مامن رجل يعود مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة ، ومن أتاه مصبحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسى وكان له خريف في الجنة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل في الأكحل فضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب . رواه أبوداود في سننه «باب في العيادة مرارا» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إن الله تعالى يقول يوم القيامة : **ياابن آدم مرضتُ فلم تَعدني** ، قال : يارب ! كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعُده ، أما علمت أنك لو عدَّته **لوجدتَّني عنده** ، ياابن آدم ! استطعمتُك فلم تُطعمنى قال : يارب ! كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أمَا علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، ياابن آدم ! استسقيتُك فلم تسقنى ، قال : يارب ! كيف اسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما أنك لو سقيته **وجدت ذلك عندي** . رواه مسلم كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

قوله : «**ياابن آدم مرضت فلم تعدني**» قال في المرقاة : أراد به مرض عبده ، وإنما أضاف إلى نفسه تشريفاً لذلك العبد فنزله منزلة ذاته .

والحاصل أن من عاد مريضاً لله فكأنه زار الله . انتهى .

قوله «**لوجدتنى عنده**» قال في المرقاة : أى لوجدت رضائى عنده ، وفيه إشارة إلى أن للعجز والانكسار عنده تعالى مقداراً واعتباراً .

قال الطيبى : وفي العبارة إشارة إلى أن العيادة أكثر ثواباً من الاطعام والإسقاء حيث خص الأول بقوله : وجدتنى عنده . فإن فيه إيماء إلى أن الله أقرب إلى المنكسر المسكين اهـ وأيضا العيادة أفضل من العبادة . **وقد قيل : لم يرد في الثواب أعظم من هذا** . انتهى بحذف .

قوله «وجدت ذلك عندي» فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وفي الحديث بيان أن الله تعالى عالم بالكائنات يستوى في علمه الجزئيات والكليات وأنه مبتل عباده بماشاء من أنواع الرياضات ليكون كفارة للذنوب ورفعاً للدرجات العاليات . مرقاة .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من عاد مريضا نادى مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا . رواه ابن ماجه واللفظ ، ورواه الترمذي وحسنه ، كما في المشكاة «باب عيادة المريض وثواب المرض» .

الفصـــل الثـــاني

في مايقوله المريض ويقال عنده ويقرأ عليه وسؤاله عن حاله

عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان ينفُث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات ، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها . فسألت الزهرى – القائل معمر – كيف ينفث ؟ قال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه . صحيح البخاري «كتاب المرضى» باب الرقىٰ بالقرآن والمعوذات»

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوِّذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفِقتُ أنفث على نفسه بالمعوذات الذي كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه . صحيح البخاري «كتاب المغازى» «باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته الخ» .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما مااستطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وماأقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، قالت عائشة : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به . متفق عليه .

وعن ميمون بن مهران عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة . رواه ابن ماجه في سننه وابن السنى في كتابه «عمل اليوم والليلة» بسند صحيح . وأورده صاحب المشكاة في «باب عيادة المريض»

لكن ميمون بن مهران لم يدرك عمر . كما في المرقاة .

قوله «فإن دعاءه كدعاء الملائكة» لأنه أشبههم في التنقى من الذنوب أو في دوام الذكر والدعاء والتضرع واللجاء . مرقاة .

قال الراقم : طوبى لهؤلاء الذين يداومون على الذكر والدعاء واللجأ في حالة مرضهم أيضاً ، يرجى أن يصدق عليهم قوله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعوداً على جنوبهم﴾ الآية ، آل عمران : ٩١ .

ومن الناس مَن لايذكر الله ولا يتضرع إليه في صحته ولا في مرضه بل يسب الله نفسه في حالة المرض والنوائب – نعوذ بالله من شرور أنفسنا وأنفسهم – وهو الله الذي يكفّر الذنوب ويرفع درجاتهم بسبب الأمراض والبلاء والنوائب . ولكن أكثر الناس لايشعرون ولا يشكرون ، فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً .

وكانت جدتى ممن تذكر الله على كل أحيانها – والحمد لله – وكانت تذكر ربَّها في حالة المرض أكثر فأكثر ، فاشتكت ذات ليلة شَكوَى لها ، وفقنى الله لخدمتها في تلك الليلة ، فلما أصبحت قالت : يابنىَّ ! ما اكتحلت بالنوم الليلة قط ، قلت : لماذا ؟ قالت : لما تعب لسانى وقلبى ومخى بكثرة ذكر ربِّى أردت النوم والإستراحة بتركه فما قدرت عليه ، كلما أردت أن أكف لسانى يجري القلب بذكره تعالى أكثر فأكثر من حالته الأولى حتى تنفس الصبح وحان وقت الصلاة – ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء – اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات في الصحة والمرض ، ومن الذين يذكرونك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم آمين يارب العالمين .

حدثنا مسدد قال حدثنا عبدالوارث عن عبدالعزيز قال : دخلت أنا وثابت

على أنس بن مالك – رضي الله عنه – فقال ثابت : يا أباحمزة ! اشتكيتُ ، فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ قال : بلى ، قال : اللهم ربَّ الناس مُذهبَ البأس ، اشف أنت الشافي لا شافىَ إلا أنت شفاءً لايغادر سقما . صحيح البخاري «باب رقية النبي ﴿ﷺ﴾» .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يُعَوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : اللهم ربَّ الناس أذهِبِ البأسَ واشْفِه وأنت الشاف لاشفاءَ إلا شفاءك شفاءً لا يغادر سقماً . صحيح البخاري «باب رقية النبى صلى الله عليه وسلم» .

وروى البخاري في نفس الباب عن عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض : بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى به سقيمنا .

وفي رواية له أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في الرقية : تربة أرضنا وريقة بعضنا يُشفى به سقيمنا بإذن ربِّنا

قال في المرقاة : (بسم الله) أى أتبرك به (تربة أرضنا) أى هذه تربة أرضنا ممزوجة (بريقة بعضنا) وهذا يدل على أنه كان يتفل عند الرقية .

قال القرطبي فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام ، وإن ذلك كان أمراً فاشياً معلوماً بينهم ، قال ووضع النبى ﴿ﷺ﴾ سبابته ، ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقى .

قال النووي : المراد بأرضنا جملة الأرض ، وقيل أرض المدينة خاصة لبركتها ، وكان النبى ﴿ﷺ﴾ يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها

على التراب فيعلق بها منه فيمسح بها على الموضع الجريح والعليل ويتلفظ بهذه الكلمات في حال المسح .

قال الأشرف : هذا يدل على جواز الرقية مالم تشتمل على شيء من المحرمات كالسحر وكلمة الكفر اهـ ، ومن المحذور أن تشتمل على كلام غير عربي أو عربي لايفهم معناه ولم يرد من طريق صحيح فإنه يحرم كما صرح به جماعة من أئمة المذاهب الأربعة لاحتمال اشتماله على كفر .

وقال التوربشتى : الذي يسبق إلى الفهم من صنيعه ذلك ومن قوله هذا أن «تربة أرضنا» إشارة إلى فطرة آدم عليه الصلاة والسلام ، «وريقة بعضنا» إشارة إلى النطفة التي خلق منها الإنسان ، فكأنه يتضرع بلسان الحال ويعرض بفحوى المقال أنك اخترعت الأصل الأول من طين ثم أبدعت بنيه من ماء مهين ، عليك أن تشفى من كان هذا شأنه ، وتمن بالعافية على من استوى في ملكك حياته ومماته .

وقال القاضي : قد شهدت المباحث الطبية على أن الريق له مدخل في النضج وتبديل المزاج ، ولتراب الوطن تأثير في حفظ المزاج الأصلى ودفع نكاية المضرات ، ولذا ذكر في تيسير المسافرين أنه ينبغى أن يستصحب المسافر تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائه حتى إذا ورد ماء ماعتاده جعل شيئا منه في سقائه وشرب الماء منها ليأمن من تغير مزاجه ، ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها اهـ وقد علم كل أناس مشربهم وكل إناء يرشح بما فيه . انتهى مختصراً .

عن عائشة بنت سعد أن أباها قال : تشَكَّيتُ بمكة شَكوى شديداً ، فجاءنى النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعودني ، فقلت : يانبى الله ! إنى أترك مالًا وإنى لا أترك

إلا ابنة واحدة فأوصى بثُلثَى مالي واترك الثُّلثَ ؟ قال : لا ، قلتُ فأوصى بالنصف وأترك النصف ؟ قال : لا ، قلت : فأوصى بالثلث وأترُك لها الثلثين ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، ثم وضع يده على جبهته ثم مسح وجهى وبطني ثم قال اللهم اشْف سعداً ، وأتمم له هجرته ، فما زلت أجد بَرْدَه على كبدي ، فما يخال عليّ حتى الساعة .

رواه البخاري في صحيحه «كتاب المرضى» «باب وضع اليد على المريض» ورواه أيضا في «كتاب الوصايا» «باب الوصية بالثلث» .

بوَّب النووى في «كتاب الأذكار» «باب مايقوله المريض ويقال عنده الخ» وسرد الأحاديث كمايلى :

روينا في صحيح مسلم رحمه الله عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله ﷺ : ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر .

وروينا في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : عادنى النبى ﷺ فقال : اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا .

قال الراقم : وأورده البخاري في صحيحه تعليقاً عن عائشة بنت سعد ولفظه : قالت عائشة بنت سعد عن أبيها قال النبي ﴿ﷺ﴾ : اللهم اشف سعداً . «باب دعاء العائد للمريض» . انتهى .

وروينا في سنن أبي داود والترمذي بالإسناد الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده

سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله سبحانه وتعالى من ذلك المرض ، قال الترمذي حديث حسن ، وقال الحاكم أبوعبدالله في كتابه المستدرك على الصحيحين : هذا حديث صحيح على شرط البخاري .

وروينا في سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال النبى ﷺ : إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل : اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشي لك إلى صلاة . لم يضعفه أبوداود ، قلت : ينكأ بفتح أوله وهمز آخره ومعناه يؤلمه ويوجعه .

وروينا في كتاب الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : كنت شاكياً فمربي رسول الله ﷺ وأنا أقول : اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخراً فارفعنى وإن كان بلاء فصبرنى ، فقال رسول الله ﷺ كيف قلت ؟ فأعاد عليه ماقال ، فضربه برجله وقال عافه أو اشفه ، شك شعبة قال فما اشتكيت وجعى بعد ، قال الترمذي حديث حسن .

وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال من قال : لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه ، فقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له قال يقول : لا إله إلا أنا وحدى لاشريك لى ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال : لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : لا إله إلا الله أنا ولا حول ولا قوة إلا بى ، وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار . قال الترمذي حديث حسن .

ورويناً في صحيح مسلم وكتب الترمذي والنسائي وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال يامحمد اشتكيت ؟ قال : نعم ، قال باسم الله أرقيك من كل شيء يوذيك من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك باسم الله أرقيك . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وروينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ دخل على أعرابي يعوده قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل على من يعوده قال : لا بأس طهور إن شاء الله .

وروينا في كتاب ابن السنى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده وهو محموم فقال : كفارة وطهور .

وروينا في كتاب الترمذي وابن السنى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده فيسأله كيف هو ؟ هذا لفظ الترمذي . وقال الترمذي : ليس إسناده بذاك .

وفي رواية ابن السنى : من تمام العيادة أن تضع يدك على المريض فتقول : كيف أصبحت أو كيف أمسيت .

وروينا في كتاب ابن السنى عن سلمان رضي الله عنه قال : عادني رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنا مريض فقال ياسلمان ! شفَى اللهُ سقمك وغفر لك ذنبك وعافاك في دينك وجسمك إلى مدة أجلك .

وروينا فيه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : مرضت فكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعوذني فعوذني يوماً فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ماتجد ، فلما استقل رسول الله ﴿ﷺ﴾ قائماً قال : ياعثمان تعوذ بها فما تعوّذتم بمثلها انتهى ماذكره النووي في الأذكار بحذف .

الفصـــل الثـــالـث

في تخفيف الجلوس وقلة الصخب عند المريض

عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وَجَعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده ، قال عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغَطُ – أى الصوت والجلبة – قال : قوموا عنِّى ، ولا ينبغى عندي التنازع ، فخرج ابن عباس يقول : إن الرَّزية كل الرَّزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه . رواد البخاري في «باب كتابة العلم» و «باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته» وفي «كتاب المرضى» «باب قول المريض قوموا عنِّى» .

قال الشيخ المحدث أحمد على السهارنفوري في حاشيته على صحيح البخاري : ويؤخذ من هذا الحديث أن الأدب في العيادة أن لا يطيل العائد عند المريض حتى يضجرد ، وأن لا يتكلم عندد بما يزعجه ، ومن جملة آداب العيادة أن لايحضر في وقت يكون غير لائق كوقت شرب المريض الدواء وأن يغض البصر ويقلل السؤال وأن يظهر الرقة وأن يخلص الدعاء وأن يوسع للمريض في الأمل ويشير عليه بالصبر ويحذرد من الجزع . انتهى .

قوله «قوموا عنِّى» قال في المرقاة : قال الطيبى وكان ذلك عند وفاته – صلى الله عليه وسلم .

روى ابن عباس أنه لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم.وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : هلموا أكتب

لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، فقال عمر وفي رواية : فقال بعضهم : رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : قوموا عنّي . متفق عليه .

قال الحافظ في الفتح : ودل أمره صلى الله عليه وسلم «قوموا عني» على أن أمره الأول كان على الاختيار أى دون الوجوب ، ولهذا عاش صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك ، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف ، وقد عدّ هذا من موافقة عمر رضي الله عنه .

واختلف في المراد بالكتاب فقيل : كان أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف ، وقيل : بل أراد أن يكتب كتاباً ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لايقع بينهم الاختلاف قاله سفيان بن عيينة ويؤيده مارواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال في أوائل مرضه وهو عند عائشة : «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر» . انتهى ماذكره الحافظ في الفتح .

وعن أنس – رضي الله عنه – قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **العيادة فواقَ ناقة** . كما في المشكاة «باب عيادة المريض الخ» .

وفي رواية سعيد بن المسيب مرسلًا : **أفضل العيادة سرعة القيام**. رواه البيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة «باب عيادة المريض الخ» .

وقد أخرجهما ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» قاله الألباني حفظه الله

قوله «فواق ناقة» قال في المرقاة : بفتح الفاء وضمها وبالرفع وفي نسخة بالنصب خبر المبتدأ أى أفضل زمان العيادة مقدار فواقها ، وهو قدر مابين الحلبتين لأنها تحلب تم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ماأقام عنده إلا فواقاً . انتهى

قوله «أفضل العيادة سرعة القيام» قال في المرقاة : قال الطيبى : أى أفضل مايفعله العائد في العيادة أن يقوم سريعاً.

قال ميرك : والأظهر أن يقال : أفضل العيادة عيادة فيها سرعة القيام .

وفي شرح الشرعة قيل : نعم العادة التخفيف في العيادة ، وقيل : العيادة لحظة ولفظة .

وعن بعضهم أنه قال : عدنا السرى السقطى في مرض موته فأطلنا الجلوس عنده ، وكان به وجع بطن ، ثم قلنا له : أدع لنا حتى نخرج من عندك ، فقال اللهم علمهم كيف يعودون المرضى .

وروى أنه دخل رجل على مريض فأطال الجلوس ، فقال المريض : لقد تأذينا من كثرة من يدخل علينا ، فقال الرجل : أقوم وأغلق الباب ؟ قال : نعم . ولكن من خارج .

وبعضهم لم يكتف بإمثال هذه الكنايات بل سلك طريق التصريح حيث روى أنه دخل ثقيل على مريض فأطال الجلوس ، ثم قال : ماتشتكى ؟ قال : قعودك عندى .

وروى أنه دخل قوم على مريض فأطالوا القعود ، وقالوا : أوصنا ، فقال : أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس إذا عدتم مريضاً .

هذا ويستثنى منه ماإذا ظن أن المريض يؤثر التطويل لنحو صداقة أو تبرك أو قيام بما يصلحه ونحو ذلك . انتهى .

قال الراقم : ههنا قصة لا بد من ذكرها وهو أن رجلا أصمَّ ذهب إلى صديقه المريض ليعوده ، وتفكر في الطريق بأنه لايقدر أن يسمع كلام صديقه المريض الضعيف فعليَّ أن أرتِّب الكلام الذي أقوله أولا وإذا ردَّ المريض فماذا يقول في جوابه ؟

فقال : أسأله أولًا كيف حالك ؟ فيجيب المريض : الحمد لله أنا في انتقاص من المرض ، فأقول : بارك الله ويرحمك الله .

ثانيا أسأله من يعالجك ؟ فيقول المريض : يعالجنى الطبيب الفلاني ، فأقول : ماشاء الله هو طبيب ماهر ينبغى أن يؤخذ منه العلاج وهو شفيق على المرضى .

ثالثاً أقول : أيّ دواء تستعمل ؟ فيسمى دواء مّا ، فأقول : ماشاء الله هو أحسن دواء لك ، بارك الله فيه هنيئاً مريئاً في جسدك .

فدخل الأصم على المريض ، فلما رأى المريضُ صورة صديقه الأصم فزع وسئم فقال في نفسه : ويحك مِن أين ورد هذا العبد مع الكربات ؟ يتعبنى بكلام نفسه ولا يسمع كلامي قط ويقول مايريده .

فقال الأصم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كيف حالك ياأخى الحبيب ؟ فأجاب المريض وهو غضبان : أنا في سياق الموت ، فظن الأصم أنه قال أنا في إنتقاص من المرض ، فقال الأصم على زعمه : بارك الله ، اللهم زد فزد .

ثم سأله من يعالجك ؟ قال المريض وهو أكثر سخطاً مما سمع هذا الكلام والدعا عليه : يعالجنى ملك الموت عليه السلام ، فقال الأصم : هو طبيب ماهر ينبغى أن يؤخذ منه العلاج وهو شفيق على المرضى .

ثم سأله أيّ دواء تستعمل ياأخى ؟ فقال المريض : أنا أشرب السمَّ ، فقال الأصم : ماشاء الله هو أحسن دواء لك ، بارك الله فيه هنيئاً مريئاً في جسدك .

فكما أن هذا الأصم كان مسروراً بعيادة صديقه مع أنه آذى المريض وجعله في حزن وغمّ ، كذلك بعض الناس يعودون المرضى بطريقة يحسبونها أنهم يحسنون صنعاً ، ولكن لا يشعرون هل أراحوا المريض بعيادتهم أم آذوه .

وقد ثبت في الصحيح للإمام البخاري عن أبي التياح قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول قال النبى ﴿ﷺ﴾ : يسِّروا ولا تعسِّروا ، وسكِّنوا ولا تنفِّروا .

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده لما بعثه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومعاذ ابن جبل ، قال : لهما يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا وتطاوعا – أى توافقا في الأمور – قال أبو موسى يارسول الله إنَّا بأرض يُصنع فيها شراب من العسل يقال له البِتعُ ، وشراب من الشعير يقال له المِزر ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ كل مسْكر حرام . رواهما البخاري رحمه الله في صحيحه «باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يسِّروا ولا تعسِّروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس»

قال الراقم : ورد هذا الحديث في اليسر والتخفيف على الناس مطلقاً والمريض أحقُّ بذلك من الصحيح فافهم .

ويستحب تطييب نفس المريض عند العيادة كما في كتاب الترمذي وابن ماجه بإسناد ضعيف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله ، فإن ذلك لايرد شيئا ويطيب نفسه . ويؤخذ هذا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق في باب مايقال للمريض : لابأس طهور إن شاء الله .

قوله : «فنفسوا له في أجله» قال في المرقاة : أى أذهبوا حزنه فيما يتعلق بأجله بأن تقولوا : لا بأس طهور أو يطول الله عمرك ويشفيك ويعافيك

أو وسعوا له في أجله فينفس عنه الكرب ، والتنفيس التفريج .

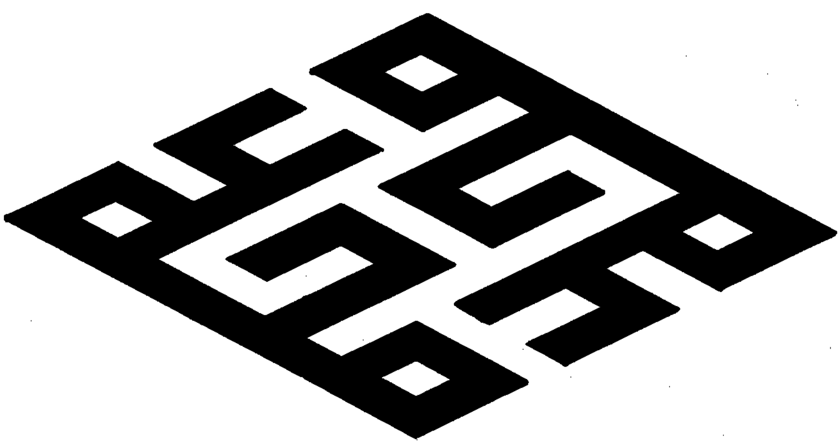
وقال الطيبي : أى طمعوه في طول عمره .

قيل لهارون الرشيد وهو عليل : هون عليك وطيب نفسك فإن الصحة لاتمنع من الفناء ، والعلة لا تمنع من البقاء ، فقال : والله لقد طيبت نفسي وروحت قلبي .

قيل يستحب للمريض الاستياك إذا قرب نزعه وحديثه في الصحيحين عند موته صلى الله عليه وسلم .

وقيل : إنه يسهل نزع الروح وكذا التطيب لأجل الملائكة وجاء فعله عن سلمان عند موته – كما سنذكر قصته هذه إن شاء الله – وكذا لبس الثياب النظيفة ، وجاء عن فاطمة وأبي سعيد الخدري ، وكذا الصلاة لقصة خبيب وكذا الاغتسال ، وجاء عن فاطمة رضي الله عنهم أجمعين . انتهى ماذكره صاحب المرقاة تحت الحديث المذكور .

﴿صلى الله عليه وسلم﴾



الفصـــل الـرابــع

في الثنـاء على المريض بمحاسن أعماله ونحوهـا إذا رأى منه خوفا ليذهـب خوفـه ويحسن ظنـه بربـه سبحـانه وتعالى

أخرج ابن سعد ٤ /٢٥٨ عن ابن شماسة المَهْريّ قال : حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فحوَّل وجهه إلى الحائط يبكي طويلًا وابنه يقول له : مايبكيك ؟ أما بشَّرك رسول الله ﴿ﷺ﴾ بكذا أما بشرك بكذا ؟ – قال : وهو في ذلك يبكي ووجهه إلى الحائط – قال : ثم أقبل بوجهه إلينا فقال : إن أفضلَ ماتعد عليَّ شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولكني قد كنت على أطباق ثلاث – أى أحوال ثلاث – : قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إليَّ من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولا أحب إليَّ من أن أستمكن منه فأقتله ، فلو مت على تلك الطبقة فكنت من أهل النار ، ثم جعل الله الإسلام في قلبي فأتيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ لابايعه فقلت : أبسط يمينك أبايعك يارسول الله ، قال : فبسط يده ثم إني قبضت يدي فقال : «مالك ياعمرو ؟» قال : فقلت : أردت أن أشترط ، فقال : «تشترط ماذا ؟» فقلت : أشترط أن يُغفر لي ، فقال : «أما علمت ياعمرو أن الإسلام يهدم ماكان قبله ، وأن الهجرة تهدم ماكان قبلها ، وأن الحج يهدم ماكان قبله» ، فقد رأيتني ما من الناس أحد أحبّ إليَّ من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولا أجلَّ في عيني منه ، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عينيَّ إجلالًا له ، فلو متُّ على تلك الطبقة رجوتُ أن أكون من أهل الجنة ، ثم وَلِينا أشياء بعد فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها ، فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فإذا دفنتموني فسنُّوا عليَّ التراب سناً – أى

ضعود وضعاً سهلاً – ، فإذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قدر ماينحر جزور ويقسم لحمها ، فإني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربِّي . وأخرجه مسلم بسند ابن سعد بسياقه نحود .

وأخرج أحمد عن عبدالرحمن بن شماسة قال : لما حضرتْ عمرو بن العاص الوفاةُ ، بكى فقال له ابنه عبدالله : لم تبكي ؟ أجزعاً على الموت ؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت ! فقال له : قد كنتَ على خير ، فجعل يذكِّره صحبة رسول الله – ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ – وفتوحه الشام فقال عمرو : تركتُ أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله ، فذكر مختصراً وزاد في آخره : فإذا مت فلا تبكينَّ عليَّ باكية ولا يتبعني مادح ولا نار ، وشدّوا عليَّ إزاري ، فإني مخاصَم ، وشنُّوا عليَّ التراب شنّاً ، فإن جنبي الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر ولا تجعلنَّ في قبري خشبة ولا حجراً . كما في البداية ٨ /٢٦ وقال : وقد روى مسلم هذا الحديث في صحيحه وفيه زيادات على هذا السياق أى سياق أحمد

وأخرج ابن عساكر عن أبي مطر قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجأه أبو لؤلؤة وهو يبكي فقلت : مايبكيك ياأمير المؤمنين ؟ قال : أبكاني خبر السماء ، أيُذْهب بي إلى الجنة أم إلى النار؟ فقلت له : أبشر بالجنة ، فإني سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول ما لا أحصيه يقول : «سيدا كهول الجنة أبوبكر وعمر وأنعَما» – أى زاداً وفضُلا – فقال : أشاهد أنت لي ياعلي بالجنة ؟ قلت : نعم ، وأنت ياحسن فاشهد على أبيك أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال : «إن عمر من أهل الجنة» كما في المنتخب ٤ /٤٣٨ .

وأخرج ابن سعد ج٣ ص٩ عن عبدالله بن شداد رضي الله عنه يقول : دخل رسول الله ﴿ﷺ﴾ على سعد بن معاذ رضي الله عنه – وهو يكيد بنفسه – أي يجود بنفسه – فقال : جزاك الله خيراً من سيد قوم ! فقد أنجزت الله ما وعدته وليُنجِزَنَّك الله ما وعدك . قال الهيثمي ج١٠ ص٤ رجاله رجال الصحيح .

وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمان رضي الله عنه قال : دخل عليَّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعودني ، فلما أراد أن يخرج قال : ياسلمان كشف الله ضرك ، وغفر ذنبك ، وعافاك في دينك وجسدك إلى أجلك . وفيه عمرو بن خالد القرشي وهو ضعيف ، كما قال الهيثمي ٢ /٢٩٩ .

قال النووى في الأذكار في «باب الثناء على المريض الخ» :

روينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طعن وكأنه يجزعه : ياأمير المؤمنين ! ولا كل ذلك قد صحبت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأحسنت صحبته ، ثم فارقك وهو عنك راض ثم صحبت أبابكر فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض ، ثم صحبت المسلمين فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون ، وذكر تمام الحديث ، وقال عمر رضي الله عنه : ذلك منّ من الله تعالى .

وروينا في صحيح البخاري عن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم أن عائشة رضي الله عنها اشتكت فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال ياأم المؤمنين تقدمين على فرط صدق رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه

ورواه البخاري أيضا من رواية ابن أبي مليكة أن ابن عباس استأذن على عائشة قبل موتها وهي مغلوبة ، قالت : أخشى أن يثنى عليَّ ، فقيل ابن عم رسول الله ﴿ﷺ﴾ من وجوه المسلمين ، قالت : ائذنوا له ، قال :

كيف تجدينك ؟ قالت بخير إن اتقيت ، قال : فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك ونزل عذرك من السماء انتهى ماذكره النووى رحمه الله تعالى .

وقد ورد الشرع في حسن الظن بالله تعالى عند الموت كما في رواية لمسلم وأبي داود في سننه واللفظ له «باب مايستحب من حسن الظن بالله عند الموت» وسرد الحديث كما يلي :

حدثنا مسدد نا عيسى بن يونس نا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث قال : لايموت أحدكم إلا **وهو يحسن الظن بالله** . انتهى .

قوله «وهو يحسن الظن بالله» قال صاحب التعليق المحمود على سنن أبي داود» : بأنه يعفو ويغفر أنه هو الغفور الرحيم ، وهو حث على الرجاء عند الخاتمة وزاد ابن أبي الدنيا في حسن الظن : فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال في حقهم ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ .

قال الخطابى : إنما يحسن الظن بالله من حسن عمله ، فكأنه قال : حسنوا أعمالكم ليحسن ظنكم بالله ، فمن ساء عمله ساء ظنه ، وقد يكون أيضا حسن الظن بالله من ناحية الرجاء وتأميل العفو .

وقال الرافعى في تاريخ قزوين : يجوز أن يراد به الترغيب في التوبة والخروج من المظالم ، فإنه إذا فعل ذلك حسن ظنه رجاء الرحمة .

وقال النووى في شرح المهذب : معنى تحسين الظن بالله تعالى أن يظن أن الله تعالى يرحمه ويرجو ذلك ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في

في كرم الله تعالى وعفوه ورحمته وما وعد به أهل التوحيد – وسنبين إن شاء الله تعالى هذه الآيات والأحاديث في «باب التوبة والاستغفار» – وما سيبديه لهم من الرحمة يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي» وهذا هو الصواب في معنى الحديث ، وهو الذي قاله جمهور العلماء ، وشدد الخطابي في ذلك فذكر تأويلًا آخر أن معناه : أحسنوا أعمالكم حتى يحسن ظنكم بربكم فمن حسن عمله حسن ظنه ، ومن ساء عمله ساء ظنه ، وهذا تأويل باطل ، نبهت عليه لئلا يغتر به . انتهى .

قال الحافظ ابن كثير ٤ /٩٨ مفسراً لقوله تعالى : ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ الآية .

قال معمر : وتلا الحسن ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ، ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ، ثم قال : قال الله تبارك وتعالى ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم – إلى قوله – وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾ الآية . انتهى .

وقال في الدر المنثور ٥ /٣٦٢ : أخرج أحمد والطبراني وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله عزوجل قال الله عزوجل : ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ انتهى .

وقال قتادة : الظن نوعان ظن منج وظن مرد ، فالمنج قوله تعالى ﴿إني ظننت أنّي ملاقٍ حسابية﴾ وقوله ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربِّهم﴾ وأما الظن المردى فهو قوله ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾ كما في التفسير الكبير للرازي ١٤ /١٨٨ .

الفصـــل الخـامـس
في مايقـول من آيـس مـن حيـاتـه

هكذا بوَّب النووى رحمه الله في كتابه الأذكار ثم قال : روينا في كتاب الترمذي وسنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت .

وروينا في صحيحى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ وهو مستند إليَّ يقول : اللهم اغفرلي وارحمنى والحقنى بالرفيق الأعلى .

ويستحب أن يكثر من القرآن والأذكار ، ويكره له الجزع وسوء الخلق والشتم والمخاصمة والمنازعة في غير الأمور الدينية . ويستحب أن يكون شاكراً لله تعالى بقلبه ولسانه ، ويستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته من الدنيا ، فيجتهد على ختمها بخير ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها من رد المظالم والودائع والعوارى واستحلال أهله من زوجته ووالديه وأولاده وغلمانه وجيرانه وأصدقائه وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة أو تعلق في شيء ، وينبغى أن يوصى بأمور أولاده إن لم يكن لهم جد يصلح للولاية ، ويوصى بما لا يتمكن من فعله في الحال من قضاء بعض الديون ونحو ذلك وأن يكون حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أنه يرحمه ، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى وأن الله تعالى غنى عن عذابه وعن طاعته ، وأنه عبده ، ولا يطلب العفو والاحسان والصفح والامتنان إلا منه ، ويستحب أن يكون متعاهدا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء ويقرأها بصوت رقيق أو يقرأها له غيره

وهو يستمع ، وكذلك يستقرىء أحاديث الرجاء وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت ، وأن يكون خيره متزايدا ويحافظ على الصلوات واجتناب النجاسات وغير ذلك من وظائف الدين ويصبر على مشقة ذلك وليحذر من التساهل في ذلك ، فإن من أقبح القبائح أن يكون آخر عهده من الدنيا التى هى مزرعة الآخرة التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه ، وينبغى له أن لايقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه فإن هذا مما يبتلى به وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل العدو الخفى فلا يقبل تخذيله وليجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال ويستحب أن يوصى أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه واحتمال مايصدر منه ويوصيهم أيضا بالصبر على مصيبتهم به ، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه ويقول لهم : صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فإياكم ياأحبائى والسعى في أسباب عذابى ، ويوصيهم بالرفق بمن يخلّفه من طفل وغلام وجارية ونحوهم ، ويوصيهم بالاحسان إلى أصدقائه ويعلمهم أنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ، وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم صواحبات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها ، ويستحب له استحبابا متأكداً أن يوصيهم باجتناب ماجرت العادة به من البدع في الجنائز ، ويؤكد العهد بذلك ، ويوصيهم بتعاهده بالدعاء وأن لا ينسوه لطول الأمد ، ويستحب له أن يقول لهم في وقت بعد وقت متى رأيتم منى تقصيرا في شيء تنهوني عليه برفق وأدوا إلى النصيحة في ذلك فإنى معرض للغفلة والكسل والاهمال ، فإذا قصرت فنشطوني وعاونونى على أهبة سفري ، هذا البعيد ودلائل ماذكرته في هذا الباب معروفة مشهورة حذفتها اختصاراً فإنها تحتمل كراريس ، وإذا حضره النزع فليكثر من قول : لا إله إلا الله ، ليكون آخر كلامه .

فقد روينا في الحديث المشهور في سنن أبي داود وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، قال الحاكم أبو عبدالله في كتابه المستدرك على الصحيح : هذا حديث صحيح الإسناد .

وروينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وروينا في صحيح مسلم أيضا من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ . قال العلماء : فإن لم يقل هو لا إله إلا الله لقنه من حضره ويلقنه برفق مخافة من أن يضجر فيردها ، وإذا قالها مرة لا يعيدها عليه إلا أن يتكلم بكلام آخر . قال أصحابنا ويستحب أن يكون الملقن غير متهم لئلا يحرج الميت ويتهمه .

واعلم أن جماعة من أصحابنا قالوا : نلقن ونقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، واقتصر الجمهور على قول لا إله إلا الله وقد بسطت ذلك بدلائله ، وبيان قائليه في كتاب الجنائز من شرح المهذب . انتهى ماقاله النووي في الأذكار رحمه الله .

الباب السادس

في كتابة الوصية

الفصل الأول

استحباب كتابة الوصية

أورد البخاري في صحيحه : «كتاب الوصايا» وقال : قال الله عزوجل : ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خير الوصية للوالدين – إلى – جنفاً﴾ – ثم سرد الحديث كما يلي – :

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : ماحق امرءٍ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده .

وعن طلحة بن مصرف قال سألت عبدالله بن أبي أوفى هل كان النبي ﴿ﷺ﴾ أوصى ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كُتب على الناس الوصية ؟ أو أمروا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله . المصدر السابق .

قال الراقم : والحديث الأول أورده أبوداود في سننه أيضا في «باب ماجاء فيما يأمر به من الوصية» . انتهى .

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما راوى الحديث الأول : «مامرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال ذلك ، إلا وعندي وصيتي» . وذلك من حرصه وكثرة ذكره واستعداده للموت رضي الله عنه .

قال في التعليق المحمود على سنن أبي داود شارحاً للحديث الأول : يعني لا ينبغي له أن يمضى عليه زمان وإن كان قليلًا إلا ووصيته مكتوبة عنده ، فيه حث على الوصية .

ومذهب الجمهور أنها مندوبة ، وقال الشافعي: ماالحزم والاحتياط لمسلم إلا أن يكون وصيته مكتوبة عنده ، وقال داود وغيره من أهل الظاهر : هي واجبة لهذا الحديث ، ولا دلالة لهم فيه على الوجوب لكن إن كان على الإنسان دين أو وديعة لزمه الايصاء بذلك ويستحب تعجيلها وإن يكتبها في صحيفة

ويشهد عليه فيها وإن تجدد له أمر يحتاج إلى الوصية به ألحقها بها كذا قاله الطيبي .

قال النووي رحمه الله قالوا : ولا يكلف أن يكتب كل يوم محقرات المعاملات وجزئيات الأمور المتكررة ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم : «ووصيته مكتوبة عنده» فمعناه مكتوبة وقد أُشهد عليه بها لا أنه يقتصر على الكتابة بل لا يعمل بها ولا ينفع إلا إذا كان أشهد عليه بها،هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال محمد بن نصر المروزي من أصحابنا : يكفى الكتاب من غير إشهاد لظاهر الحديث والله أعلم . انتهى ماقاله النووي رحمه الله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ، قال : وقرأ عليَّ أبوهريرة من ههنا ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار – حتى بلغ – ذلك الفوز العظيم﴾ رواه أبوداود في سننه «باب كراهية الإضرار في الوصيات» ورواه النسائي أيضا كما في جمع الفوائد «كتاب الوصية» .

وعن أنس رضي الله عنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم مات فلان ! قال : أليس كان معنا آنفاً ؟ قالوا : بلى ، قال : سبحان الله ، كأنها أخذة غضب ، المحروم من حرم وصيته . للموصلى كما في جمع الفوائد «كتاب الوصية» .

يجب على من أراد أن يوصى بشيء من ماله ألَّا يزيد على الثلث لِما رواه سعد بن مالك رضي الله عنه قال : جاءنى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعودني ، فقلت : يارسول الله ! أوصى بمالي كله ؟ قال : لا ، قلت : فالشَّطر قال : لا قلت : والثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من

أن تدعهم عالة – فقراء – يتكففون الناس بأيديهم – أى يسألون الناس – رواه البخاري ومسلم رحمهما الله .

قال العينى في عمدة القاري : إن أهل العلم لايرون أن يوصى الرجل بأكثر من الثلث ويستحبون أن ينقص من الثلث ، وقال الثوري : كانوا يستحبون في الوصية الخمس بعد الربع والربع دون الثلث ، فمن أوصى فلم يترك شيئا فلا يجوز له إلا الثلث ، وأجمع علماء المسلمين على أنه لايجوز لأحد أن يوصى بأكثر من ثلثه إذا ترك ورثة من بنين وعصبة ، واختلفوا إذا لم يتركهما ولا وارثاً بنسب أو نكاح ، فقال ابن مسعود : إذا كان كذلك جاز له أن يوصى بماله كله ، وعن أبي موسى مثله ، وقال بقولهما قوم منهم مسروق وعبيدة وإسحاق ، واختلف في ذلك قول أحمد وذهب إليه جماعة من المتأخرين ممن لا يقول بقول زيد بن ثابت في هذه المسألة ، وعن عبيدة : إذا مات الرجل وليس عليه عقد لأحد ولا عصبة ترثه فإنه يوصى بماله كله حيث شاء ، وعن مسروق وشريك مثله وعن الحسن وابن العالية مثله ذكره في المصنف،قال القرطبي وإليه ذهب أبوحنيفة وأصحابه وأحمد وإسحاق ومالك في أحد قوليهما ، وقال زيد بن ثابت لا يجوز لأحد أن يوصى بأكثر من ثلثه إذا كان له بنون أو ورثة كلالة أو ورث جماعة المسلمين لان بيت مالهم عصبة من لا عصبة له وإليه ذهب جماعة ، واجمع فقهاء الأمصار : أن الوصية بأكثر من الثلث إذا أجازها الورثة جازت وإن لم تجزها الورثة لم يجز منها إلا الثلث . انتهى ماذكره العينى رحمه الله في عمدة القاري .

الفصـل الثـانـي
ماينبغي أن تتضمنـه الوصيـة

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلٰهك وإلٰه آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰهاً واحدا ونحن له مسلمون﴾ البقرة : ١٣٣ .

قال الحافظ ابن كثير مفسرا لهذه الآية ١ /١٨٧ : أن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم : ﴿ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰهاً واحداً﴾ أى نوحده بالألوهية ولا نشرك به شيئا غيره ﴿ونحن له مسلمون﴾ أى مطيعون خاضعون كما قال تعالى : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً أو كرهاً وإليه يرجعون﴾ انتهى بحذف .

وقال صاحب التفسير المظهري في قوله تعالى المذكور : ﴿إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟﴾ أى أيّ شيء تعبدونه ، أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم .

قال عطاء : إن الله تعالى لم يقبض نبيّاً حتى خيَّره بين الموت والحياة فلما خيّر يعقوب قال : أنظرني حتى أسئل ولدي وأوصيهم ففعل ذلك فجمع ولده وولد ولده وقال لهم : قد حضر أجلي فما تعبدون بعدي ؟ ﴿قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبـائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ . انتهى بحذف ١ /١٣٤ .

وصية نبينا ﴿ﷺ﴾ حين حضره الوفاة

أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين حضره الوفاة «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى يغرغر بها – أي بلغه روحه حلقومه – وما يفصح بها لسانه . وقد رواه النسائي وابن ماجه .

وعند أحمد من حديثه قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت : «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل رسول الله ﴿ﷺ﴾ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه .

ومن حديث علي رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه قال : قلت : إني أحفظ وأعي ، قال : «أوصي بالصلاة والزكاة وماملكت أيمانكم» ، كذا في البداية ٥ /٢٣٨ . وأخرجه أيضاً ابن سعد (٢ /٢٤٣ عن أنس مثله .

وأخرج أيضاً عن علي رضي الله عنه نحوه وزاد : فجعل يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم ، قال : كذلك حتى فاضت نفسه ، وأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حتى فاضت نفسه ، «من شهد بهما حُرِّم على النار» .

وعند أحمد والبخاري في الأدب وأبي داود وابن ماجه وابن جرير – وصححه – وأبي يعلى والبيهقي عن علي قال : كان آخر كلام النبي ﴿ﷺ﴾ : «الصلاة الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» كذا في الكنز ٤ /١٨٠ .

وأخرج ابن سعد ٢ /٣١٢ عن العلاء رضي الله عنه أن النبي ﴿ﷺ﴾ لما حضرته الوفاة بكت فاطمة عليها السلام فقال لها النبي ﴿ﷺ﴾ : لا تبكي يابنية ! قولي إذا مامت : ﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون﴾ ، فإن لكل إنسان بها من كل مصيبة معْوضة ، قالت : ومنك يارسول الله ؟ قال : ومنّي .

وعند ابن سعد ٣ /١٩٦ عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما حضر أبابكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه عليّ وطلحة – رضي الله عنهم – فقالا : من استخلفت ؟ قال : عمر . قالا : فماذا أنت قائل لربك ؟ قال : أبالله تُفْرقاني ، لأنا أعلم بالله وبعمر منكما ، أقول : استخلفتُ عليهم خير أهلك . كما في الكنز ٣ /١٤٦ . وأخرجه البيهقي ٨ /١٤٩ بنحوه عن عائشة رضي الله عنها ، وابن جرير ٤ /٥٤ بمعناه عن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها.

وسمع بعض أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ بدخول عبدالرحمن وعثمان على أبي بكر – رضي الله عنهم – وخَلْوتهما به فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم : ماأنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر لعمر[1] علينا وقد ترى غِلظَته ؟ فقال أبوبكر : أجلسوني ، أبالله تخوِّفوني ، خاب من تزوَّد من أمركم بظلم أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عني ماقلت لك مَن وراءك ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان ، فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ماعهد أبوبكر بن أبي قحافة في آخر عهده من الدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني أستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا وإنّي لم آل – لم أقصر – الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الكنز ٣ /١٤٥ بحذف لفظ «لعمر» .

فيه ، وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب (من الإثم) والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾ – الشعراء : ٢٢٧ .

والسلام عليكم ورحمة الله !

ثم أمر بالكتاب فختمه ثم قال بعضهم : الحديث ..... كما في الكنز ٣ /١٤٥

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو على فراش الموت

أخرج أحمد في الزهد عن عبادة بن نَسيّ قال : لما حضرتْ أبابكر رضي الله عنه الوفاةُ قال لعائشة رضي الله عنها : اغسلي ثوبيَّ هذين وكفنيني بهما ؛ فإنما أبوك أحد رجلين : إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب كذا في المنتحب ٤ /٤٥٩ .

وعنده أيضاً وابن سعد والدغولي عن عائشة قالت : لما حُضِرَ أبوبكر قلت

لعمرك مايغني الثراءُ عن الفتى

إذا حشرجت[1] يوماً وضاق بها الصدر

فقال أبوبكر : لا تقولي هكذا يابنية ! ولكن قولي : ﴿وجاءتْ سَكْرَةُ الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد[2]﴾ وقال : انظروا ثوبيَّ هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما ، لأن الحي أحوج إلى الجديد من الميت ، إنما هو للمهلة .

(١) ترددت النفس عند الموت وغرغرت . (٢) سورة ق : ١٩ .

وعند أبي يعلى وأبي نعيم والبيهقي عن عائشة قالت : لما اشتد مرض أبي بكر بكيت وأغمي عليه فقلت :

من لا يزال دمعه مقنعاً[1]

فإنه من دمعه مدفوقُ[2]

فأفاق فقال : ليس كما قلت يابنية ! ولكن ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾ ثم قال : أي يوم توفي رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ فقلت : يوم الاثنين ، فقال : أيّ يوم هذا ؟ فقلت : يوم الاثنين ، قال : فإني أرجو من الله مابيني وبين هذا الليل ، فمات ليلة الثلاثاء ، وقال : في كم كُفِّن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ فقلت : كفناه في ثلاثة أثواب سحولية بيض جُدُد ليس فيها قميص ولا عمامة ، فقال : اغسلوا ثوبي هذا وبه رَدْع[3] من زعفران واجعلوا معه ثوبين جديدين ، فقلت إنه خَلَق ، فقال : الحي أحوج إلى الجديد من الميت ، إنما هو للمهلة ، كذا في المنتخب ٤ /٣٦٢ . وفي سياق ابن سعد ٣ /١٩٧ : إنما يصير إلى الصديد وإلى البلي .

وصية عمر رضي الله عنه وهو على فراش الموت

وأخرج ابن سعد ٣ /٣٥٨ عن يحيى بن أبي راشد النصري[4] أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنه : يابنيّ إذا حضرتني الوفاة فاحرِفني واجعل ركبتيك في صلبي وضع يدك اليمنى على جبيني ويدك اليسرى على ذَقَني ، فإذا قبضتُ فأغمضني ، واقصدوا في كفني ، (فإنه إن يكن لي

---

(١) مغطيّ في عروق دمعه كامناً فيها . (٢) وفي النهاية : لابد يوما أنه يُهراق . (٣) أي لطخ لم يعمّه كله . وفي الأصل والمنتخب : ردغ . وهو تصحيف . (٤) وفي المنتخب البصري ولعله الصواب .

عندالله خير أبدلني خيراً منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سَلْبي واقصدوا في حفرتي) فإنه إن يكن لي عندالله خير وسَّع لي فيها مد بصري وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليَّ حتى تختلف أضلاعي ، ولا تُخرجنَّ معي امرأة ولا تزكُّوني بما ليس فيَّ ، فإن الله هو أعلم بي ، وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المشي ، فإنه إن يكن لي عندالله خير قدمتموني إلى ماهو خير لي ، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شراً تحملونه . وأخرجه ابن أبي الدنيا في القبور عن يحيى نحوه كما في المنتخب ٤ /٤٢٧ .

قول حذيفة رضي الله عنه وهو على فراش الموت

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٢ عن خالد بن الربيع قال : لما ثقل حذيفة رضي الله عنه سمع بذلك رهطه والأنصار فأتوه في جوف الليل أو عند الصبح فقال : أيّ ساعة هذه ؟ قلنا : جوف الليل أو عند الصبح ، فقال : أعوذ بالله من صباح (إلى) النار ! قال : جئتم بما أكفن به ؟ قلنا : نعم ، قال : لاتغالَوا بالأكفان ، فإنه إن يكن لي عندالله خير بُدِّلت به خيراً منه وإن كانت الأخرى سُلبت سلباً سريعاً .

قول أبي موسى رضي الله عنه وهو يحتضر

وأخرج أبونعيم في الحلية ١ /٢٦٢ عن الضحاك بن عبدالرحمن قال : دعا أبوموسى الأشعري رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة فقال : اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا فجاؤا فقالوا : قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا ، فقال : والله إنها لإحدى المنزلتين : إما ليوسعنَّ عليَّ قبري حتى تكون كل زاوية منه

أربعين ذراعاً ثم ليفتحنَّ لي باب إلى الجنة فلأنظرنَّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة ثم لأكوننَّ أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي ثم ليصيبنى من ريحها وروحها حتى أبعث ، ولئن كانت الأخرى - ونعوذ بالله منها - ليضيقنَّ عليَّ قبري حتى يكون في أضيق من القناة فى الزج - ثم ليفتحنَّ لي باب من أبواب جهنم فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي ثم لأكوننَّ إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي ثم ليصيبنى من سمومها وحميمها حتى أبعث .

قوله القناة : الرمح ، والزج : الحديدة التي في أسفله .

طلب عبادة من أهله وجيرانه الاقتصاص منه ووصيته حين حضره الموت

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال : لما حضرت عبادةَ رضي الله عنه الوفاةُ قال : أخرجوا إليَّ مواليَّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليَّ ، فجمعوا له فقال : إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليَّ من الدنيا وأول ليلة من الآخرة وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء ، وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة ، **وأحرِّج إلى أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني من قبل أن تخرج نفسي** ، فقالوا : بل كنت والداً وكنت مؤدباً - قال : وما قال لخادم سوءاً قط - فقال : أعفوتم ماكان من ذلك ؟ قالوا : نعم قال : : اللهم اشهد ؛ ثم قال : أمَّا لا فاحفظوا وصيتي ، أحرِّج على إنسان منكم يبكي عليَّ ، فإذا خرجتْ نفسي فتوضأوا وأحسنوا الوضوء ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلى ثم يستغفر لعبادة ولنفسه ، فإن الله تعالى قال

﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ أسرعوا بي إلى حفرتي ولا تُتْبِعُنِّي ناراً ولا تضعوا تحتي أرجوانا[1] كما في الكنز ٧ /٧٩ .

قول أبي ذر رضي الله عنه ووصيته حين حضره الموت

وعند ابن سعد ٤ /٢٣ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نفى عثمان رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه إلى الرَّبَذة وأصابه بها قدره ، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني وضعاني على قارعة الطريق – أي وسط الطريق أو أعلاه – ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبوذر صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمَّاراً فلم يَرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل أن تطأها ، فقام إليه الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأعينونا على دفنه ، فاستهلَّ عبدالله يبكي ويقول : صدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك» ثم نزل هو وأصحابه فوارَوه ، ثم حدثهم عبدالله ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ في مسيره إلى تبوك .

وأخرج ابن سعد أيضاً ٤ /٢٣٣ عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنه لما حضر أباذر رضي الله عنه الموتُ بكت امرأته ، فقال لها : مايبكيك ؟ قالت : أبكى لأنه لا يَدَان لى – أى لا طاقة لي – بتغييبك وليس لي ثوب يسعك،

---

(١) معرب من أرغوان وهو شجر له نور أحمر وكل لون يشبهه فهو أرجوان ، وقيل هو الصبغ الأحمر الذي يقال له النشاستج . كما في هامش «حياة الصحابة» .

قال : فلا تبكي ، فإني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول لنفر أنا فيهم : «ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر رجل إلا قد مات في قرية وجماعة من المسلمين وأنا الذي أموت بفلاة ، والله ماكَذَبتُ ولا كُذِبْتُ – أى لم يكذبني النبي ﴿ﷺ﴾ – فأبصري الطريق ! الخ الحديث . وأخرجه أبو نعيم عن أم ذر نحوه ، كما في المنتخب ٥ /١٥٧ .

وأخرج الفضائلي الرازي عن العلاء بن الفضل عن أمه قال : لما قُتل عثمان رضي الله عنه فتَّشوا خزانته ، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلًا ، ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوبا فيها :

هذه وصية عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأنَّ الله يبعث من في القبور ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت وعليها يُبعث إن شاء الله» !

وأخرجه أيضاً نظام الملك وزاد : ووجدوا في ظهرها مكتوباً :

غنى النفس يُغني النفس حتى يُجلَّها
وإن غضَّها حتى يَضُرَّ بها الفقرُ

وما عُسرة فاصبر لها إن لقيتها
بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ
ومَن لمْ يقاس الدَّهر لم يعرف الأسى
وفي غَيَر الأيام ما وعد الدهرُ

كذا في رياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ٢ /١٣٣ .

وروى الدارقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كانوا يكتبون في صدور وصاياهم : «هذا ماأوصى به فلان بن فلان ، أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسوله ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأوصى من ترك بعده من أهله بتقوى الله حق تقاته وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسولَه إن كانوا مؤمنين ، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويقعقوب : ﴿يابنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، البقرة ١٨٠.

بوَّب النووي في كتابه الأذكار «باب وصية الميت أن يصلى عليه إنسان بعينه أو أن يدفن على صفة مخصوصة الخ» وسرد الأحاديث بعده كما يلي :

روينا في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على أبي بكر رضي الله عنه يعنى وهو مريض ، فقال : في كم كفنتم النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ؟ فقلت : في ثلاثة أثواب ، قال : في أي يوم توفي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ؟ قالت : يوم الاثين ، قال : فأي يوم هذا ؟ قالت : يوم الإثنين ، قال : أرجو فيما بيني وبين الليل فنظر إلي ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع من زعفران فقال : اغسلوا ثوبين فكفنوني فيها ، قلت : إن هذا خلق ، قال إن الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو **للمهلة** فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح .

قـولـه «للمهلة» : روى بضم الميم وفتحها وكسرها ثلاث لغات والهاء ساكنة وهو الصديد الذي يتحلل من بدن الميت . قاله النووي .

وروينا في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما جرح : إذا أنا قبضت فاحملوني – إلى عائشة – ثم سلم وقل : يستأذن عمر فإن أذنت يعنى عائشة فادخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين .

وروينا في صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : قال سعد : الحدوا لي لحداً وانصبوا عليَّ اللبن نصباً كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروينا في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال وهو في سياقة الموت : إذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ التراب شنًّا الحديث – قد مر هذا الحديث من قبل مع تخريجه – .

وقال بعد قليل : قلت : وينبغى أن لا يقلد الميت ويتابع فى كل ما وصى به بل يعرض ذلك على أهل العلم فما أباحوه فعل ، وما لا فلا ، وأنا أذكر من ذلك أمثلة :

فإذا أوصى بأن يدفن فى موضع من مقابر بلدته وذلك الموضع معدن الأخيار فينبغى أن يحافظ على وصيته .

وإذا أوصى بأن يصلى عليه أجنبي فهل يقدم فى الصلاة على أقارب الميت فيه خلاف للعلماء ، والصحيح فى مذهبنا أن القريب أولى لكن إن كان الموصى له ممن ينسب إلى الصلاح أو البراعة فى العلم مع الصيانة والذكر الحسن استحب للقريب الذى ليس هو فى مثل حاله إيثاره رعاية لحق الميت .

وإذا أوصى بأن يدفن فى تابوت لم تنفذ وصيته إلا أن تكون الأرض رخوة

أو ندية يحتاج فيها إليه فتنفذ وصيته فيه ويكون من رأس المال كالكفن .

وإذا أوصى بأن ينقل إلى بلد آخر لا تنفذ وصيته فإن النقل حرام على المذهب الصحيح المختار الذى قاله الأكثرون وصرح به المحققون ، وقيل : مكروه ، قال الشافعى رحمه الله : إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس فينقل إليها لبركتها.

وإذا أوصى بأن يدفن تحته مضربة أو مخدة تحت رأسه أو نحو ذلك لم تنفد وصيته .

وكذا إذا أوصى بأن يكفن فى حرير فإن تكفين الرجال فى الحرير حرام وتكفين النساء فيه مكروه ليس بحرام والخنثى فى هذا كالرجل .

ولو أوصى بأن يكفن فيما زاد على عدد الكفن المشروع أو فى ثوب لا يستر البدن لا تنفذ وصيته .

ولو أوصى بأن يقرأ عند قبره أو يتصدق عنه وغير ذلك من أنوع القرب نفذت إلا أن يقترن بها ما يمنع الشرع منها بسببه .

ولو أوصى بأن تؤخر جنازته زائدا على المشروع لم تنفذ .

ولو أوصى بأن يبنى عليه فى مقبرة مسبلة للمسلمين لم تنفذ وصيته بل ذلك حرام . انتهى ماذكره النووي رحمه الله .

الفصل الثالث

من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها وأوصى أن يدفن في موضع فلان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أرسِلَ ملكُ الموت إلى موسى ، فلما جاءه صكَّه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتَني إلى عبد لا يريدُ الموتَ فردَّ الله عليه عينَه وقال : ارجع فقل له يَضَعْ يده على متن ثور فله بكل ماغطَّتْ به يدُه بكل شعرة سَنَة ، قال : أى ربِّ ثم ماذا ؟ قال : ثم الموتُ ، قال : **فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة** رميةً بحجَر ، قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : فلو كنت ثَمَّ لأريتُكم قبرَه إلى جانب الطَّريق عند الكثيب الأحمر .

صحيح البخاري «باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها» .

قال العيني في عمدة القارى ٨ /١٤٨ وقال ابن خزيمة : أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث وقالوا : لايخلو أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام عرف ملك الموت أو لم يعرفه ؟ فإن كان عرفه فقد استخف به وإن كان لم يعرفه فرواية من روى أنه كان يأتي موسى عياناً لا معنى لها ، ثم إن الله تعالى لم يقتص لملك الموت من اللطمة وفقوء العين ، والله تعالى لايظلم أحداً .

قال ابن خزيمة : وهذا اعتراض مَن أعمى الله بصيرته ، ومعنى الحديث صحيح ، وذلك أن موسى لم يبعث الله إليه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه اخباراً وابتلاء كما أمر الله تعالى خليله بذبح ولده ولم يرد امضاء ذلك ، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه الصلاة والسلام حين لطم الملك لكان ماأراد ، وكان اللطمة مباحة عند موسى إذ رأى آدمياً دخل عليه ولا يعلم

أنه ملك الموت ، وقد أباح الرسول عليه الصلاة والسلام فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ، ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت ويفقأ عينه .

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلم يعرفهم ابتداءً ، ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلًا ، لأنهم لا يطعمون .

وقد جاء الملك إلى مريم فلم تعرفه ، ولو عرفته لما استعاذت منه .

وقد دخل الملكان على داود عليه الصلاة والسلام في شبه آدميين يختصمان عنده فلم يعرفهما .

وقد جاء جبريل عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسأله عن الإيمان فلم يعرفه ، وقال : ما أتاني في صورة قط إلا عرفته فيها غير هذه المرة فكيف يستنكر أن لا يعرف موسى الملك حين دخل عليه ؟ .

وأما قول الجهمي أن الله تعالى لم يقتص للملك فهو دليل على جهله ، مَن الذي أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصاً ؟ أو أخبره أن الملك طلب القصاص فلم يقتص له ؟ وما الدليل على أن ذلك كان عمداً ؟ وقد أخبرنا نبيِّنا صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يقبض نبياً قط حتى يريه مقعده من الجنة ويخبره ، فلم ير أن يقبض روحه قبل أن يريه مقعده من الجنة ويخبره .

وقال الخطابي (فإن قيل) : كيف يجوز أن يفعل موسى عليه الصلاة والسلام بالملك مثل هذا الصنيع أو كيف تصل يده إليه أو كيف لايقبض الملك روحه ولا يمضى أمر الله تعالى به ؟

قلت : أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام في حياته بأمور أفرده بها فلما دنت وفاته لطف أيضاً به بأن لم يأمر الملك به بأخذ روحه قهراً لكن أرسله على سبيل الامتحان في سورة البشر فاستنكر موسى عليه الصلاة والسلام شأنه

ودفعه عن نفسه فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التى جاءه فيها دون الصورة الملكية ، وقد كان في طبع موسى عليه الصلاة والسلام حدة روى أنه كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً .

وقال النووى فإن قلت : كيف جاز عليه فقوء عين الملك ؟ قلت : لايمتنع أن يأذن الله له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله يفعل مايشاء .

وقال ابن قتيبة في مختلف الحديث : أذهب موسى عليه الصلاة والسلام العين التي هى تخييل وتمثيل وليست على حقيقته وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقه الروحاني كما كان لم ينتقص منه شيء .

قوله «**فالآن**» أى قال موسى عليه الصلاة والسلام فالآن يكون الموت ولفظ الآن ظرف زمان غير متمكن وهو اسم لزمان الحال وهو الزمان الفاصل بين الماضى والمستقبل ، وهو يدل على أن موسى عليه السلام خيره الله تعالى اختار الموت شوقاً إلى لقاء ربه تعالى كما خيره نبيِّنا عليه الصلاة والسلام فقال : «الرفيق الأعلى» .

قوله «**فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة**» أى فعند ذلك سأل موسى الله أن يقربه من الأرض المقدسة وهى بيت المقدس ، وقال ابن التين : الأرض المقدسة الشام ، ومعنى المقدسة المطهرة ..... أى سأل الله تعالى الدنو من بيت المقدس ليدفن فيه دنوا لو رمى رام الحجر من ذلك الموضع الذي هو الآن موضع قبره لوصل إلى بيت المقدس ، **وإنما سأل ذلك** لفضل من دفن في الأرض المقدسة من الأنبياء والصالحين ، فاستحب مجاورتهم في الممات كما في الحياة ، ولأن الناس يقصدون المواضع الفاضلة ويزورون قبورها ويدعون لأهلها .

وقال المهلب : إنما سأل الدنو منها ليسهل على نفسه ويسقط عنه المشقة التى تكون على من هو بعيد منها وصعوبته عند البعث والحشر .

فإن قلت : لِم لَم يسأل نفس البيت وسأل الدنو منه ؟ قلت : خاف أن يكون قبره مشهوراً فيفتتن به الناس كما أخبر به الشارع أن اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وفي الحديث دلالة على أن لموسى عليه الصلاة والسلام منزلة كبيرة حيث فقأ عين ملك الموت ولم يعاتبه عليه . وفيه استحباب الدفن في المواضع الفاضلة من مدافن الصالحين ، وفيه أن للملك قدرة على التصور بصورة غير صورته .

وفيه في قوله «يضع يده على متن ثور» دلالة على أن الدنيا بقى منها كثير وإن كان قد ذهب أكثرها . وفيه دلالة على الزيادة في العمر مثل الحديث الآخر «من سره أن يبسط في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه» وهو يؤيد قول من قال في قوله تعالى ﴿وما يعمر من معمر﴾ الآية أنه زيادة ونقص في الحقيقة . انتهى ماذكره العينى في عمدة القارى بحذف .

قوله «من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها» قال الحافظ في الفتح ٣ /٢٠٧ قال الزين بن المنير : المراد بقوله «أو نحوها» ماتشد إليه الرحال من الحرمين وكذلك مايمكن من مدافن الأنبياء وقبور الشهداء والأولياء تيمناً بالجوار وتعرضاً للرحمة النازلة عليهم اقتداء بموسى عليه السلام . انتهى ، وهذا بناء على أن المطلوب القرب من الأنبياء الذين دفنوا بيت المقدس ، وهو الذي رجحه عياض . انتهى .

وقال بعد قليل : وفيه جواز نقل الميت من بلد إلى بلد ، فقيل : يكره لما فيه

من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته ، وقيل : يستحب ، والأولى تنزيل ذلك على حالتين : فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة وتختلف الكراهة في ذلك فقد تبلغ التحريم ، والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نص الشافعى على استحباب نقل الميت إلى الأرض الفاضلة كمكة وغيرها . والله أعلم . انتهى ماقاله الحافظ رحمه الله .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من استطاع أن يموت بالمدينة **فليمت بها** فإني أشفع لمن يموت بها . رواه أحمد والترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب إسناداً . كما في المشكاة «باب حرم المدينة حرسها الله تعالى» .

قوله : «**فليمت بها**» أى فليقم بها حتى يموت كما في هامش مشكاة المصابيح .

وعن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان جالساً وقبر يُحفر بالمدينة فاطلع رجل في القبر فقال : بئس مضجع المؤمن ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : بئسما قلت ، قال الرجل : إني لم أرد هذا **إنما أردت القتل في** سبيل الله ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : **لا مِثل القتل في سبيل الله** ، ماعلى الأرض بُقعةٌ أحب إليَّ أن يكونَ قبري بها منها، ثلاث مرات. رواه مالك مرسلًا . كما في المشكاة «باب حرم المدينة حرسها الله تعالى» .

قوله : «**إنما أردت**» أى أردت أن الشهادة في سبيل الله أفضل من الموت على الفراش . كما في المرقاة .

قوله : «**لا مثل القتل**» قال في اللمعات : لا بمعنى ليس واسمه محذوف أى ليس الموت بالمدينة بمثل القتل في سبيل الله بل هو أفضل بكذا ،

فعلم منه أن الموت في المدينة والدفن فيها أفضل من الموت والدفن في الغربة ، وقد يختلج أن الظاهر على هذا التقدير أن يقال ليس القتل في سبيل الله مثل الموت بالمدينة ، ويحتمل عبارة الحديث أن يكون معناه نعَم ليس الموت بالمدينة مثل القتل في سبيل الله والقتل في سبيله أفضل وأعظم لكن إن لم يرزق الشهادة فالموت في المدينة والقبر فيه أفضل من الموت في سائر البلاد . انتهى ماذكره في اللمعات .

وبوّب النووى في «كتاب الأذكار» «باب استحباب دعاء الإنسان بأن يكون موته في البلد الشريف» وسرد الحديث كما يلى :

روينا في صحيح البخاري عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتى ببلد رسولك صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أنّى يكون هذا ، قال : يأتينى الله به إذا شاء . انتهى.

وبوّب أبوبكر بن أبي شيبة في مصنفه باب «الرجل يوصى أن يدفن في الموضع» وسرد الآثار بعده كما يلى :

حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال : قالت عائشة : لما حضرتها الوفاة ادفنوني مع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فإنى أحدثت بعده .

حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عمرو بن ميمون أن عمر قال لعبدالله ابن عمر : اذهب إلى عائشة فسلم وقل : يستأذن عمر بن الخطاب

أن يُدفن مع صاحبيه ، فأتاها عبدالله فوجدها قاعدة تبكى ، فسلم ثم قال : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه ، فقالت : قد كنت والله أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي .

حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا شريك عن محمد بن عبدالله عن عمرو ابن مرة عن أبيه عن عبدالله بن مسعود قال : **ادفنوني في قبر عثمان ابن مظعون** .

حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن رجل أن خيثمة أوصى أن يُدفن في مقبرة فقراء قومه انتهى .

قوله : «**أدفنوني في قبر عثمان بن مظعون**» قال الراقم : لعظمة مكانته – أى لعثمان بن مظعون – عند النبى صلى الله عليه وسلم وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه قائلا : «أعْلِـمُ بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» الحديث سنذكره بعد قليل إن شاء الله .

وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة وأول من دفن بالبقيع منهم ، وما شرب الخمر في الجاهلية ، وقال : لا أشرب مايضحك من هو دوني ، وكان من أكابر أهل الصفة . ذكره في اللمعات .

وقال صاحب المشكاة في «إكمال في أسماء الرجال» : هو عثمان بن مظعون يكنى أبا السائب الجمحى القرشي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وكان حرم الخمر في الجاهلية ، وقبَّل النبى صلى الله عليه وسلم وجهه بعد موته ولما دفن قال : نعم السلف هو لنا ، ودفن بالبقيع وكان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم روى عنه ابنه السائب وأخوه قدامة ابن مظعون . انتهى بحذف .

وهو الذي وضع النبى صلى الله عليه وسلم الحجر على قبره وقال : «أعْلِمُ بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» كما في رواية أبي داود «كتاب الجنائز» باب في جمع الموتى في قبر والقبر يعلم» . وسماه أخى تعظيما له رضي الله عنه .

وحديث تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون رضي الله عنه رواه أبوداود في «كتاب الجنائز» «باب تقبيل الميت» عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل . انتهى .

وذكر السدي : أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند قبر إبراهيم وإسحاق ، فلما مات أرسله إلى الشام فدفن عندهما عليهم السلام . راجع التفسير لابن كثير ٢ /٤٩٤ .

ثلاث كان يحبها الإمام مالك رحمه الله :

(١) المجاورة بروضة رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ .
(٢) والمدارسة بحديث رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾
(٣) والدفن ببلدة رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

﴿اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك﴾
﴿واجعل قبورنا ببلد رسولك﴾
﴿صلى الله عليه وسلم﴾
﴿وأدخلنا برحمتك﴾
﴿في عبادك﴾
﴿الصالحين﴾
﴿آمين﴾

البـــاب الســـابــع

بـاب الاسـتـغـفـار

« باب الاستغفار »

اعلم أن هذا الباب من أهم الأبواب التي يعتني بها ، ويحافظ على العمل به ، نسأل الله الكريم بأن يختم لنا به ، ونسأله ذلك وسائر وجوه الخير لي ولأحبابي وسائر المسلمين . آمين .

قال الله تعالى : ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ .

وقال جلت عظمته : ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ .

وقال جل جلاله : ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربَّنا إننا آمنَّا فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ .

وقال تعالى : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون﴾ .

وقال جل شأنه : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون﴾ .

وقال تعالى : ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ .

وقال تعالى إخباراً عن نوح صلى الله عليه وسلم : ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ .

وقال تعالى حكاية عن هود ﷺ : ﴿ياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ .

والآيات في الاستغفار كثيرة معروفة ويحصل التنبيه ببعض ماذكرناه .

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، فاضت رحمته وشملت رأفته عباده ، ومن منن الله جلت عظمته على أمة محمد صلى الله عليه وسلم إمهاله للخائضين في أودية الذنوب والمعاصى الكبائر منها والصغائر المتقحمين[1] – أي داخلين النَّار مثل الجنادب والفراش يقعن فيها – ورسول الله ﴿ﷺ﴾ بما بعثه الله به من الهدى والنور آخذ بحجزنا عن النَّار ونحن فارون من خالقنا ومالكنا إلى شهواتنا وغارقون في الغفلة والسكرة والغون في المعاصي وهو سبحانه حليم لا يبطش بنا ولا يهلكنا حالا بل يمهلنا ويأمر نبيَّه ﴿ﷺ﴾ أن يعلن كرمه : ﴿ قل ياعبادي الَّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنَّه هو الغفور الرَّحيم[2] ﴾ .

ويقول لطفاً بعباده : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[3] ﴾ وقال جلت عظمته : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده[4] ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ وإنِّي لغفَّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى[5] ﴾ .

---

(١) فقد ورد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن – أي يمنعهن – ويغلبنه – أى على الوقوع – فيتقحّمن فيها – أى يدخلن فيها – فأنا آخذ بحُجزكم عن النار وأنتم تقحّمون فيها».
هذه رواية البخاري ولمسلم نحوها ، وقال في آخرها : قال : «فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلمّ عن النار هلمّ عن النار فتغلبونّي تقحّمون فيها» . كما في المشكاة «باب الاعتصام بالكتاب والسُّنة» .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ . (٣) سورة المائدة : ٧٤ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٤ . (٥) سورة طه : ٨٢ .

ولم يقتصر ربُّنا على هذا الكرم والجود والرَّحمة والمغفرة بل تاب على عباده ليتُوبوا لئلا يستحقّوا البطش والعقاب الأشقّ ، قال التوَّاب الرحيم :
﴿ ثـمَّ تـاب عليهـم ليتُوبُوا إن الله هو التَّواب الرَّحيم[1] ﴾ .

قال الحسن البصري رحمه الله : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

وقد روى أن عطاء السليمي – رضي الله عنه – رؤي بعد موته ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : قال لي : ياعطاء ! أما استحيت منِّي أن تخافني كلَّ هذا ؟ أما بلغك أنِّي غفور رحيـم[2] ؟ .

قلت : ومن كرم الله المتزايد على عباده : أنه يغفر الذنوب ويمحوها من صحائف أعمالهم حتى لايبقى لها أي أثر ، وإنا نرى في الدُّنيا أن المأخوذ في أي جرم إذا حبس في السجن أو عذب فإنه متى يسلم من السجن أو العذاب لايُمحىٰ ذنبه من الدفاتر ، بل يحفظ سجل جرمه وعذابه في الدوائر الرسمية المختصة ، ولكن الله تعالى يغفر ذنوب عبده ويَستر ويمحُو حتى لايبقى له أيّ أثر في صحيفة أعماله .

وجوده جل وعلا لا يقف عند حد بل ﴿ يُبَدِّلُ[*] الله سيِّئاتهـم حَسَنٰـت[3] ﴾ .

---

(١) سورة التوبة : ١١٨ . (٢) راجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد وفقهما الله ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ بمطبعة الرياض ج ١١ ص ٥ ....

(٣) سورة الفرقان : ٧٠ .

(*) قوله تعالى : ﴿ يبدّل الله سيِّئاتهم حسنٰت ﴾ فإن قيل كيف يتصور تبديل السيئة على هذا المعنى بالحسنة ؟ وكيف يثاب على السيئة ؟ فإن السيئة أمر مكروه ، غير مرضي لله تعالى ، فكيف يتصور كونه مرضيا له سبحانه ، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والعصيان؟ =

قال الحافظ ابن كثير مفسراً لهذه الآية ٣ /٣٢٨ :

إن تلك السيِّئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلَّما تذكر مامضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

وأما الأحاديث الواردة في الاستغفار فلا يمكن استقصاءها لكنى أشير إلى أطراف من ذلك .

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال قال أبوهريرة رضي الله عنه : سمعت النبي ﴿ﷺ﴾ يقول : والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة صحيح البخاري «باب استغفار النبى ﴿ﷺ﴾ في اليوم والليلة»

= أجاب عنه صاحب التفسير المظهري الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني المتوفى سنة ١٢٢٥هـ رحمه الله فقال : توجيه ذلك عندي أنَّ عباد الله الصالحين كلَّما صدر عنهم ماكتب الله عليهم من العصيان ندموا غاية الندم ، واستحقروا أنفسهم غاية الاستحقار والتجؤا إلى الله تعالى كمال الالتجاء ، وخافوا عذاب الله مع رجاء المغفرة، فاستغفروه ، حتى صاروا مهبطاً لكمال الرحمة بحيث لو لم يذنبوا لم يصيروا بهذه المثابة ، فعلى هذا صار عصيانهم الذي كان سببا للعقاب سبباً للثواب ، ولو بتوسط الندم والتوبة ، ومن ههنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ويغفرلهم» . رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «استغفروا لماعز بن مالك ، لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد حين سبَّ المرأة الغامدية: مهلا ياخالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» . رواه مسلم في قصة ماعز والغامدية عن بريدة . وهذا ماقيل معصية أولها غفلة وآخرها ندامة خير من طاعة أولها عجب وآخرها رؤية . من التفسير المظهري ٧ /٥٠ و ٥١ .

بوَّب أبو داود في سننه «باب في الاستغفار» وسرد الأحاديث كمايلي :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ماأصرَّ[1] من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة .

وعن أبي بردة عن الأغر المزني قال مسدد في حديثه وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليغان[2] على قلبى وإنى لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة .

---

(١) قوله «ماأصرَّ من استغفر» قال في النهاية : أصر على الشيء إصراراً إذا لزمه وداومه وثبت عليه وأكثر مايستعمل في الشر والذنوب يعنى من اتبع الذنوب بالاستغفار فليس بمصر عليها وإن تكررت منه ، وقوله سبعين مرة : ظاهره التكثير والتكرير ، وقال بعض علمائنا المصر هو الذي لم يستغفر ولم يندم على الذنب ، والاصرار على الذنب إكثاره ، وقال ابن الملك : الاصرار الثبات والدوام على المعصية يعنى من عمل معصية ثم استغفر فندم على ذلك خرج عن كونه مصراً ، وقال الطيبى : الاستغفار يرفع الذنوب بماورد في الحديث من أنه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، فقد قيل حد الاصرار أن يتكرر منه الصغيرة تكراراً .
وقال ابن حجر يحتمل أن يراد بالاستغفار التوبة وحينئذ فنفى الاصرار ظاهر . من التعليق المحمود على سنن أبي داود .

(٢) قوله «إنه ليغان على قلبى الخ» هذا الحديث من المتشابهات التى لايعلم معناها ، وقد وقف الأصمعى إمام اللغة عن تفسيره وقال : لو كان قلب غير النبى صلى الله عليه وسلم لتكلفت عليه كذا قاله السيوطي . .
قال بعض المحققين قوله ليغان على قلبى على بناء المفعول من الغين وأصله الغيم لغة وحقيقته بالنظر إلى قلب النبى صلى الله عليه وسلم لاندرى ، وإن قدره صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم مما يخطر في كثير من الأوهام فالتفويض في مثله أحسن ، نعم القدر المقصود بالافهام مفهوم وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يحصل له حالة داعية إلى الاستغفار فيستغفر=

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة:رب اغفرلي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم .

وعن أسماء بن الحكم قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول كنت رجلًا إذا سمعت من رسول الله ﴿ﷺ﴾ حديثاً نفعني الله منه بماشاء أن ينفعني ، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته قال : وحدثني أبوبكر وصدق أبوبكر أنه قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ الآيه ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ إلى آخر الآية .

وعن أبي عمر بن مرة قال سمعت هلال بن يسار بن زيد مولى النبىِّ ﴿ﷺ﴾ قال : سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من قال : «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»غفر له وإن كان فر من الزحف .

= كل يوم مائة مرة **فكيف بغيره** ؟ وقال بعض الفضلاء الغين الستر يقال غين عليه كذا أى غطى عليه . وقوله على قلبي : مرفوع على نيابة الفاعل يعنى ليغشى على قلبى مالا يخلو البشر عنه من سهو والتفاوت إلى حظوظ النفس من مأكول ومنكوح ونحوهما فإنه كحجاب وغيم يطبق على قلبه فيحول بينه وبين الملأ الأعلى حيلولة ما فيستغفر تصفية للقلب وإزاحة للغاشية وهو إن لم يكن ذنباً لكنه من حيث أنه بالنسبة إلى سائر أحواله نقص وهبوط إلى حضيض البشرية تشابه الذنب فيناسبه الاستغفار . قال القاضي : المراد فترات وغفلات في الذكر الذي شأنه الدوام عليه فإذا فتر أو غفل عنه عده ذنباً واستغفر كذا ذكره القاري ، وذكر أيضاً أقوالا أخر ، وقال في آخرها : **المختار أنه من المتشابه الذي لايخاض في معناه والله أعلم** . من التعليق المحمود على سنن أبي داود .

وعن أنس رضي الله عنه قال : «كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ، فقال : استغفروا الله ، فاستغفرنا ، فقال : أتِمُّوها سبعينَ مرة ، يعنى فأتممناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد ولا أمَةٍ يستغفر الله كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنبٍ ، وقد خاب عبدٌ أو أمةٌ عمل في يومٍ وليلة أكثر من سبعمائة ذنبٍ»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من جلس مجلسا فكثرَ لغَطُه فقال قبل أن يقوم : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك ثم أتوبُ إليك ، إلا غفرَ له ماكان في مجلسه ذلك»(٢) .

وعن عامر بن تميم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من استبطأ الرزق فليكثرْ من الاستغفار ، ومن كثر همُّه وغمُّه فليكثر من التكبير»(٣) .

وعن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد عرضتْ عليَّ الجنة والنارُ ، حتَّى جعلتُ أنفخها ، وخِفتُ أن تغشاكم ،

---

(١) تاريخ بغداد ٦ /٣٩٢ من طريق أبي العباس الفضل بن حماد النيسابوري عن أبي جابر به .
وأخرجه البيهقي في الشعب (٦٥٢) من طريق الحسن بن أبي جعفر .

(٢) شرح السنة ٥ /١٣٤ من طريق أحمد بن عبيدالله عن نوسي عن حجاج بن محمد به ، أبوداود (٤٨٥٨) ، والترمذي : (٣٤٣٣) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه ، وصححه ابن حبان ، (٢٣٦٦) والحاكم ١ /٥٣٦ ووافقه الذهبي ، وانظر الترغيب ٢ /٤١١ ، ابن السني (٤٤١) .

(٣) كنز العمال (٩٣٢٥) من حديث أنس ، رواه الديلمي ولكن بلفظ : «من استبطأ الرزق فليكثر من التكبير ومن كثر همّه وغمه فليكثر من الاستغفار» .

وجعلتُ أقولُ : ربِّ ألَمْ تعدْني ألَّا تُعَذِّبَهُم وأنا فيهم ، ألم تعدْني ألَّا تُعذِّبهم وهم يستغفرون[1] .

وعن ثابت البناني قال : «كان شاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسُ ويتهيَّأُ ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قصَّر وشمَّر في العبادة ، قالوا : لو كان مافعلتَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ لقرَّت عينه بك ، فقال : أمَا إنَّه كان لي أمانان فمضى أحدهما ، وبقى الآخرُ ، قال الله – عز وجل – : ﴿وَمَا كانَ الله ليُعذِّبهم وأنت فيهم﴾ فقد مضى أحدُ أمانَيَّ ، وقال الله – عزوجل – : ﴿وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون﴾ فلا أزال أجتهدُ[2] .

فضالة بن عبيد رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم : «العبدُ آمنٌ من عذاب الله تعالى ما استغفر اللهَ»[3] .

وعن حذيفة بن اليمان قال : «شكوتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذَرْبَ لساني ، فقال : أين أنت عن الاستغفار ، إنِّي أستغفر الله تعالى في اليوم والليلة مائة مرَّة»[4] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوبُ إليه ، غُفر له ذنوبهُ وإن كانت مثل زبدِ البحر»[5] .

رواه النسائي : ٣ /١٣٧ من طريق عبدالعزيز بن عبدالصمد ، أبو داود (١١٩٤) من طريق حماد ، الترمذي في الشمائل عن قتيبة ، عن جرير كلهم عن عطاء به .

(٢) انظر الدر المنثور ٣ /١٨٢ ، ابن كثير ٣ /٥٩٠ . (٣) مسند أحمد ٦ /٢٠ .

(٤) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، مسند أحمد ٥ /٣٩٤ و ٣٩٦ ، وابن ماجه (٣٨١٧).

(٥) انظر المستدرك ١ /٥١١ ، ٢ /١١٨ مجمع الزوائد ١٠ /٢١٠.

وعن أبي وائل ، عن عبدالله رضي الله عنه قال : «والله إني لأعلمُ في القرآن آية هي خيرٌ لأهل الذنوب من الدنيا وما فيها : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم[1]﴾ آل عمران : ١٣٥ .

وعن النبي ﷺ قال : «الاستغفار في الصحيفة نورٌ يتلألأ[2]» .

وعن قتادة قال : «إن هذا القرآن يدلُّكم على دائكم ودوائكم ، أمَّا داؤكم فالذنوب والخطايا ، وأما دواؤكم فالاستغفار[3]» .

وعن أبي المنهال قال : «ماجاور عبد في قبره من جار أحبُّ إليه من استغفار كثير[4]».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : «طوبىٰ لمن وجد في صحيفته نُبَذاً من استغفار[5]» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله عزوجل ليرفع الدرجة للعبد الصَّالح في الجنة فيقول : يارب أنَّىٰ[6] لي هذه ؟ فيقول : باستغفار[7] ولدك لك . رواه أحمد كما في المشكاة باب التوبة والاستغفار .

---

(١) الدر المنثور ٢ /٧٧ بنحوه ، وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والطبراني وابن أبي الدنيا وابن المنذر والبيهقي عن ابن مسعود .

(٢) راجع كنز العمال (٢٠٦٤) عن معاوية بن حيدة .

(٣) راجع كتاب الترغيب والترهيب للإمام الحافظ أبي القاسم : إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني ١ /١١٩ طبع مكتبة النهضة الحديثة .

(٤،٥) المصدر السابق المذكور .

(٦) أى كيف حصل لي ؟ أو من أين حصل لي هذه الدرجة السنية .

(٧) قوله «باستغفار ولدك» هذا أحد منافع النكاح وأعظمها ، وأحد الأشياء الثلاثة التي تلحق المؤمن من حسناته وعمله بعد موته كما جاء في الحديث . (من اللمعات) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حدثه قال قال رسول الله ﷺ :

«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» .

انتهى ماذكره أبو داود في سننه بحذف

قوله : «من لزم الاستغفار جعل الله الخ» قال في التعليق المحمود على سنن أبي داود : أي عند صدور معصية وظهور بلية أو من داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : «طوبىٰ لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيرا» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

قوله : «**مخرجا**» أي طريقا وسببا يخرج إلى سعة ومنحة ، وكذا قوله : «**ومن كل همّ**» ، أي غم يهمُّه «فرجا» أي خلاصا ، «ورزقه» أي حلالا طيبا «من حيث لا يحتسب» أي لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله .

والحديث مقتبس من قوله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ **فتأمل في الآية . فإن فيها كنوزا من الأنوار ورموزا من الأسرار** ، والحديث إما تسلية للمذنبين فنزلوا منزلة المتقين ، أو أراد بالمستغفرين التائبين فهم من المتقين ، أو لأن الملازمين للاستغفار لما حصل لهم مغفرة الغفار كأنهم من المتقين .

قال الطيبي : من داوم الاستغفار وأقام بحقه كان متقيا وناظرا إلى قوله تعالى : ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ .

روى عن الحسن أن رجلا اشتكى إليه الجدب فقال : استغفر الله وشكى إليه الآخر بفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقيل : شكوا إليك أنواعاً فأمرتهم بالاستغفار ؟ فتلا الآية . اهـ . كذا قاله علي القاري في المرقاة شرح المشكاة .

وروى البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : سيد الاستغفار أن يقول العبد : «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعتُ أعوذبك من شر ماصنعتُ أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة ، ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة . كما في التفسير لابن كثير ١ /٢٤٤ .

وروى الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له ، فقال : يارسول الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي ؟ فقال ﴿ﷺ﴾ : ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، وأشهد أنك رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد غفر لك غدراتك وفجراتك . تفرد به أحمد كما في التفسير لابن كثير ٤ /٥٩ .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ حديث الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابداً من عباد بنى إسرائيل هل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله وأكمل به مائة ، ثم سأل عالماً من علمائهم هل له من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأمر الله عزوجل أن يقيسوا مابين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها ، فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فبقضته ملائكة الرحمة ، وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب ، وأمر تلك البلدة أن تتباعد . راجع التفسير لابن كثير : ٤ /٥٩ - ٦٠ .

وذكر بعد قليل : وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل : ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ إلى آخر الآية :

قد دعا الله تعالى إلى مغفرته:

مَن زعم أن المسيح هو الله	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هوالمسيح ابن مريم﴾ المائدة ١٧
ومن زعم أن المسيح هو ابن الله	﴿وقالت النصارىٰ المسيح ابن الله﴾ التوبة : ٣٠
ومَن زعم أن عزيراً ابن الله	﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ التوبة : ٣٠
ومن زعم أن الله فقير	﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير﴾ آل عمران : ١٨١
ومن زعم أن يد الله مغلولة	﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ المائدة : ٦٤
ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ المائدة : ٧٣

يقول الله تعالى لهؤلاء : ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ .

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء :

مَن قال : ﴿أنا ربُّكم الأعلى﴾ .

وقال : ﴿ماعلمتُ لكم من إله غيري﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

«من آيس من عباد الله التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه .

وروى الطبراني من طريق الشعبى .... أنه قال سمعت ابن مسعود يقول :

إن أعظم آية في كتاب الله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ .

وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ .

وإن أكثر آية في القرآن فرحاً ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ .

وإن أشد آية في كتاب الله تفويضاً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ **فقال له مسروق : صدقت .**

وقال الأعمش .... : قال مرَّ عبدالله يعنى ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال : يامذكِّر لمَ تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ رواه ابن أبي حاتم رحمه الله .

وروى ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير قال : إن إبليس لعنه الله تعالى قال : يارب ! إنك أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك ، قال فأنت مسلط ، قال : يارب زدنى ، قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال : يارب ! زدنى ، قال : أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم ، قال : يارب ! زدني ، قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

فقال آدم عليه الصلاة والسلام : يارب ! قد سلطته عليَّ وإني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لايولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال : يارب ! زدني قال : الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها ،

قال : يارب ! زدني ، **قال : باب التوبة مفتوح ماكان الروح في الجسد** ، قال : يارب ! زدني ، قال : ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ انتهى بحذف ماقاله الحافظ ابن كثير تحت الآية المذكورة .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءتني امرأة فقالت : هل لي من توبة ؟ إني زنيت وولدت وقتلته ، فقلت : لا ولا نَعِمَتِ العين ولا كرامة ؟ فقامت وهي تدعو بالحسرة ، ثم صليتُ مع النبي ﴿ﷺ﴾ فقصصتُ عليه ماقالت المرأة وما قلت لها ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : بئسما قلت ! أما كنت تقرأ هذه الآية ﴿والَّذين لا يدعون مع الله إلٰهاً آخر – إلى قوله – إلا من تاب﴾ الآية ؟ فقرأتها عليها فخرَّت ساجدة وقالت : الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً . هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف . وقد رواه ابن جرير بسنده بنحوه وعنده :

فخرجت تدعو بالحسرة وتقول : **ياحسرتا أُخلق هذا الحسن للنار** وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ تطلَّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ فخرت ساجدة وقالت : الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبة مما عملت ، وأعتقت جارية كانت معها وابنتها وتابت إلى الله عزوجل كما في التفسير لابن كثير ٣ /٣٢٩ .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً فقال : أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفرلي ذنبى ، فقال تعالى : أذنب عبدي ذنباً علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : رب اغفرلي ذنبي

فقال تعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : رب اغفرلي ذنبى ، فقال تعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، اعمل ماشئت فقد غفرت لك . كما في جمع الفوائد ٣ /٤٣٤ طبع المدينة المنورة .

وعن أبي هريرة رفعه : كان في بنى إسرائيل رجلان متواخيان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد ، وكان المجتهد لايرى الآخر على ذنب فيقول : اقصر ، فوجده يوماً على ذنب فقال : اقصر ، فقال : خلِّنى وربِّى ، أبعثتَ عليَّ رقيباً ؟ فقال له : والله لا يغفر الله لك ، أو قال : لايدخلك الجنة ، فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين ، **فقال تعالى للمجتهد : أكنت على مافي يدى قادراً ؟ قال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار** ، وقال أبو هريرة : تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته . لأبي داود . المصدر السابق المذكور .

وأخرج ابن جرير عن أبي الجوزاء قال : اختلفتُ إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما من شيء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة ، **فما سمعته ولا سمعت أحداً من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لا اغفره** . الدر المنثور ٢ /١٦٩ .

وأخرج أحمد وابن مردويه عن أبي ذر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : إن الله يقول : ياعبدي ماعبدتني ورجوتني فإنى غافر لك على ماكان فيك ، **وياعبدي لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا مالم تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة** . الدر المنثور ٤ / ١٧ .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير والبيهقي في البعث عن قتادة قال :

كنا عند أنس بن مالك وَثَمَّ أبوقلابة فحدث أبوقلابة قال : إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة ، فأنظره إلى يوم الدين ، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح، قال : وعزتي لأحجب عنه التوبة مادام فيه الروح. الدر المنثور ٢ /١٣٠ .

يحدث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «أيُّها الناس تُوبوا إلى ربِّكم فإنِّي أتوب إلى الله كلَّ يوم مائة مرة ، قيل لسفيان : فكيف يتوبُ إلى الله كلَّ يوم مائة مرة ؟ قال : كأنه استغفار[١]».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسَى الله حفظة ذنوبه وأنسَى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقَى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنبٍ[٢]» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله تبارك وتعالى لأفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها بأرضٍ مُهلكة يخاف أن يقتله بها العطشُ[٣]» .

وعن عائشة رضي الله عنها قال : «جاء جبيب[٤] بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ! إنِّي رجل مِقرافٌ[٥] للذنوب ، فقال : تب إلى الله ياجبيب ! فقال : يارسول الله ! إني أتوبُ ثم أعود ، قال : كلما أذنبتَ فتُبْ قال : إذا يارسول الله تكثر ذنوبي ، قال : عفو الله أكثر من ذنبك ياجبيب بن الحارث[٦]» .

---

(١) أخرجه أحمد ٤ /٢٦٠ - ٢٦١ و ٥ /٤١١ من طريق أبي بردة ، وصححه الالباني في صحيحه (١٤٥٢) . (٢) عزاه المنذري في الترغيب ٤ /٩٤ للأصبهاني وضعّفه .

(٣) أخرجه مسلم ٤ /٢١٠٢ من طريق الأعرج عن أبي هريرة بلفظ : «الله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها» . (٤) جبيب بالجيم مضمومة .

(٥) قوله : مقراف : مفعال من قرفت الذنب أى اكتسبته أى أنا رجل كثير الذنب .

(٦) أخرجه الحكيم والباوردي وأبو نعيم من طريق نوح بن ذكوان ، وهو ضعيف كذا في الكنز.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل شيء يتكلَّم به ابنُ آدم فإنه مكتوب عليه ، فإذا أخطأ خطيئةً فأحبَّ أن يتوب إلى الله ، فليأت بقعةً رفيعةً فليمددْ يديه إلى الله ثم يقول : اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجعُ إليها أبداً فإنه يغفرُ له مالم يرجع في عمله ذلك(١)» .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يدا الله يُبسطان لمسيء الليل يتوبُ بالنهار ولمسيء النهارِ يتوبُ بالليل حتى تطلع الشمس من مغرِبها(٢)» .

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : كنا نأتي رسول الله ﷺ إذا نزل شيء يحدّثنا ، فقال لنا يوماً : «إن الله قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة ، ولو أنَّ لابن آدم واديين من مالٍ لأحبَّ أن يكونَ إليهما الثالث ، ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ ويتوبُ الله على من تَابَ(٣)» .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : «إن كُنتِ الممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإنَّ التوبَة من الذنب الندمُ والاستغفارُ(٤)» .

وعن علي رضي الله عنه قال : «ليس الخيرُ أن يكثَر مالُك وولدُك ، ولكن الخيرَ أن يكثر عملك و (لا) تباهي الناس في عبادة ربِّك ، إن أحسنتَ حمدتَ الله تعالى ، وإن أسأت استغفرتَ الله تعالى ، لا خير في الدنيا إلا لرجلين ، رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبةٍ أو يُسارع في دار الآخرة(٥)» .

---

(١) أخرجه الحاكم ١ /٥١٦ ، والبيهقي ١٠ /١٥٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البغوي في التفسير ٢ /٢٠٤ . (٣) أخرجه أحمد ٥ /٢١٨ و ٢١٩ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من طريق الزهري به ، أثناء حديث الإفك .

(٥) راجع كتاب الترغيب والترهيب صـ ٣٣٣ للإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني .

الباب الثامن

باب التوبة

باب التوبة

« فصل »

عقبة التوبة

هكذا بوَّب الغزالي في كتابه «منهاج العابدين» وقال : ثم عليك ياطالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لأمرين :

أحدهما : ليحصل لك توفيق الطاعة ، فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان ، وإن قيد الذنوب يمنع عن المشى إلى طاعة الله عزوجل ، والمسارعة إلى خدمته ، لأن ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات ، **وإن الاصرار على الذنوب مما يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة ، لا خلوص فيها ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة ، وإن لم يرحم الله فستجر صاحبها إلى الكفر والشقاوة .**

فيا عجبا ! كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم وقسوة ؟ وكيف يدعى إلى الخدمة من هو مصر على المعصية ومقيم على الجفوة ؟ وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالأقذار والنجاسات .

ففي الخبر عن الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا كذب العبد تنحى عنه الملكان من نتن مايخرج من فيه . فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عزوجل ؟ فلا جرم لايكاد يجد المصر على العصيان توفيقاً ولا تخف أركانه لعبادة الله تعالى ، فإن أنفق فبكد فلا حلاوة معه ولا صفوة ، وكل ذلك لشؤم الذنوب وترك التوبة .

ولقد صدق من قال : إذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك مكبول ، قد كبلتك خطيئتك ، فهذه هذه .

والثاني : من الأمرين إنما تلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك ، فإن ربَّ الدَّين لايقبل الهدية ، وذلك أن التوبة عن المعاصى وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التى تقصدهما نفل ، فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه ؟ وكيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مصر على فعل المحظور والحرام ؟ وكيف تناجيه وتدعوه وتثنى عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان ، فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان .

فإن قلت : فما معنى التوبة النصوح وما حدها ؟ وما ينبغى للعبد أن يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها .

فأقول أما التوبة فإنها سعى من مساعى القلب ، وهى عند التحصيل في قول العلماء رضي الله عنهم تنزيه القلب عن الذنب .

قال شيخنا رحمه الله في حد التوبة أنه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لاصورة تعظيماً لله تعالى وحذراً من سخطه فلها إذا أربعة شرائط :

أحدها : ترك اختيار الذنب وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أنه لايعود إلى الذنب البتة ، فأما إن ترك الذنب وفي نفسه أنه ربما يعود إليه أولا يعزم على ذلك بل يتردد فإنه ربما يقع له العود فإنه ممتنع عن الذنب غير تائب منه .

والثانية : أن يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله إذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب ، ألا ترى أنه يصح القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بأنه تائبا من الكفر إذا لم يسبق عنه كفر بحال ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك .

والثالثة : أن الذي سبق عنه يكون مثل الذي يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة ، ألا ترى أن الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق إذا أراد أن يتوب عن ذلك تمكنه التوبة لامحالة إذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق إذ هو لايقدر الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن منه لكنه يقدر على فعل ماهو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالكذب والقذف والغيبة والنميمة إذا جميع ذلك معاص ، وإن كان الاسم يتفاوت في كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة ، وهى دون منزلة البدعة ، ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك تصح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر مامضى من الذنوب التى هو عاجز عن أمثالها اليوم في الصورة .

والرابعة : أن يكون ترك اختياره لذلك تعظيماً لله عزوجل ، وحذراً من سخطه وأليم عقابه مجردا لا لرغبة دنيوية أو رهبة من الناس ، أو طلب ثناء أو جاه أو ضعف في النفس أو فقر أو غير ذلك فهذه شرائط التوبة وأركانها ، فإذا حصلت واستكملت فهى توبة حقيقية صادقة .

وأما مقدمات التوبة فثلاث : **إحداها** : ذكر غاية قبح الذنوب .

والثانية : ذكر شدة عقوبة الله عزوجل وأليم سخطه وغضبه الذي لاطاقة لك به .

والثالثة : ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فإن من لايتحمل حر شمس ولا لطمة شرطي ولا قرص نملة كيف يتحمل حر نار وضرب مقامع الزبانية ولسع حيّات كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقتْ من النار في دار الغضب

والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه ، فإذا واظبت على هذه الأذكار وعاودتها آناء الليل وأطراف النهار فإنها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق لفضله .

فإن قيل أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم : الندم التوبة . ولم يذكر مما ذكرتم من شرائطها وشددتم شيئا .

يقال له اعلم أولا : أن الندم غير مقدور للعبد ، ألا ترى أنه تقع الندامة عن أمور في قلبه وهو يريد أن لا يكون ذلك ، والتوبة مقدورة للعبد مأمور بها ثم إنا قد علمنا أنه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين الناس أو ماله في النفقة فيها ، فإن ذلك لايكون توبة بلا ريب ، فعلمت بذلك أن في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو أن الندم لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح ، فإن ذلك من صفات التائبين وحالهم فإنه إذا ذكر الأذكار الثلاثة التى هي مقدمات التوبة ندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنوب وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع ، فلما كان ذلك من أسباب التوبة وصفات التائب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم التوبة فافهم ذلك موفقا إن شاء الله تعالى .

فإن قلت : كيف يمكن الإنسان أن يصير بحيث لايقع منه ذنب البتة من صغير أو كبير ؟ كيف وأنبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه الذين هم أشرف خلق الله سبحانه وتعالى قد اختلف فيهم أهل العلم هل نالوا هذه الدرجة أم لا ؟

فاعلم أن هذا أمر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء . ثـم من شرط التوبة أن لا يتعمد ذنباً ، فأما إن وقع منه بسهو أو خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى ، وهذا هين على من وفقه الله تعالى .

فإن قلت : إنما يمنعنى من التوبة أنى أعلم من نفسى أنى أعود إلى الذنب ولا أثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك ؟

فاعلم أن هذا من غرور الشيطان ، ومن أين لك هذا العلم فعسى أن تموت تائباً قبل أن تعود إلى الذنب ، وأما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الإتمام فإن أتم فذاك المقصود من فضله وإن لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها ، وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك إلا هذا الذنب الذي احدثته الآن ، وهذا هوالربح العظيم والفائدة العظيمة الكبيرة فلايمنعك خوف العود عن التوبة ، فإنك من التوبة أبدا بين الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية فهذه فهذه .

وأما الخروج عن الذنوب والتخلص منها : فاعلم أن الذنوب في الجملة ثلاثة أقسام . **أحدها** : ترك واجبات الله سبحانه وتعالى عليك من صلاة وصوم أو زكاة أو كفارة وغيرها فتقضى ماأمكنك منها .

والثاني : ذنوب بينك وبين الله سبحانه وتعالى كشرب الخمر وضرب المزامير وأكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود إلى مثلها أبداً.

والثالث : ذنوب بينك وبين العباد وهذا أشكل وأصعب وهى أقسام قد تكون في المال وفي النفس وفي العِرض وفي الحرمة وفي الدين .

فما كان في المال : فيجب عليك أن ترده عليه إن أمكنك ، فإن عجزت عن ذلك لعدم وفقرٍ فتستحل منه ، فإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته وأمكن التصدق عنه فافعل ، وإن لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع إلى الله بالتضرع والابتهال أن يرضيه عنك يوم القيامة .

وأمَّا ماكان في النفس : فتمكنه من القصاص أو أولياءه حتى يقتص منك أو يجعلك في حل ، فإن عجزت فالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والابتهال إليه أن يرضيه عنك يوم القيامة .

وأما في العِرض : فإن اغتبته أوبهته أوشتمته فحقك أن تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده ، وأن تستحل من صاحبه أن أمكنك هذا إذا لم تخش زيادة غيظ أو هيج فتنة في إظهار ذلك أو تجديده ، فإن خشيت ذلك فالرجوع إلى الله سبحانه تعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيراً كثيراً في مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه .

وأما الحرمة بأن خُنته في أهله أو ولده أو نحو ذلك فلا وجه للاستحلال والاظهار لأنه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع إلى الله سبحانه ليرضيه عنك ويجعل له خيراً كثيرا في مقابلته ، فإن أمنتَ الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه .

وأما في الدِّين : بأن كفرته أو بدعته أو ضللته فهو أصعب الأمور فتحتاج إلى تكذيب نفسك بين يدى من قلت له ذلك ، وأن تستحل من صاحبك إن أمكنك وإلا فالابتهال إلى الله تعالى جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك .

وجملة الأمر : فما أمكنك من إرضاء الخصوم عملت ومالم يمكنك رجعت إلى الله سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال والتصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشيئة الله سبحانه يوم القيامة والرجاء منه بفضله العظيم وإحسانه العميم إنه إذا علم الصدق من قلب العبد فإنه يرضى خصماءه من خزنة فضله . فهذه هذه .

« فصـــل »

ثم اعلم يقيناً أن هذه العقبة عقبة صعبة أمرها مهم وضررها عظيم .

فلقد بلغنا عن الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين في العلم العاملين به أنه قال : **دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحاً ثم تعجبت في نفسي ، فقلت : سبحان الله ! حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فماقضيت إلى الآن ، فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي : أتتعجب من ذلك ؟ أتدري ماذا تسأل الله ؟ إنما تسأل الله سبحانه تعالى أن يحبك ، أما سمعت قوله تعالى : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ، أفهذه حاجة هينة؟**

فانظر إلى هؤلاء الأئمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم .

وأما الضرر المخوف في تأخير التوبة فإن أول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله شئوم وشقوة ، فإياك أن تنسى أمر إبليس وبلعم بن باعوراء إذ كان مبدأ أمرهما ذنبا وآخره كفرا فهلكا مع الهالكين أبدا الآبدين ، فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى أن تقلع من قلبك عرق هذا الإصرار ، وتخلص رقبتك من هذه الأوزار ولا تأمن قساوة القلب من الذنوب ، وتأمل حالك ، فلقد قال بعض الصالحين : **إن سواد القلب من الذنوب ، وعلامة سواد القلب أن لا تجد للذنوب مفزعاً ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيئا ، فتحسب نفسك تائبا وأنت مصر على الكبائر .**

فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن أنه قال : **أذنبت ذنباً فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة ، فقيل : ماهو ياأبا عبدالله ؟! قال : زارني أخ لي في الله فاشتريت له سمكا فأكل ثم قمت إلى حائط جاري فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده** ، فناقش نفسك وحاسبها وسارع إلى التوبة وبادر ، فإن الأجل مكتوم والدنيا غرور والنفس والشيطان عدوان ، وتضرع إلى الله سبحانه وابتهل إليه واذكر حال أبينا آدم عليه السلام خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وحمله إلى جنته على أعناق الملائكة لم يذنب إلا ذنباً واحداً فنزل به مانزل ، **حتى روي أن الله تعالى قال له : ياآدم ! أي جار كنت لك ؟ قال : نعم الجار يارب ! قال : ياآدم ! أخرج من جواري ، وضع عن رأسك تاج كرامتي فإنه لا يجاورني من عصاني ، حتى إنه فيما روى بكى على ذنبه مائتى**

سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه الواحد . هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى ؟ وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ؟ ولقد أحسن من قال :

يخاف على نفسه من يتوب
فكيف ترى حال من لا يتوب

فإن تبت ثم نقضت التوبة وعدت إلى الذنب ثانيا فعد إلى التوبة مبادراً ، وقل لنفسك : لعلى أموت قبل أن أعود إلى الذنب هذه المرة ، وكذلك ثالثاً ورابعاً ، وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة فاتخذ التوبة أيضا والعود إليها حرفة ولا تكن في التوبة أعجز منك في الذنب ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فإنه دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﷺ : «خياركم كل مفتن تواب» أى كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع إلى الله جل جلاله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله سبحانه : ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما﴾ فهذه هذه وبالله التوفيق . انتهى ماقاله الغزالي رحمه الله في باب التوبة .

وروى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن السلماني قال : اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقال أحدهم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال الآخر : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم» فقال الثالث : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : نعم ، قال : وأنا سمعت رسول الله رسول الله ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة» ، قال الرابع : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه» . **راجع التفسير لابن كثير ١ /٤٦٤** .

هذا آخر

ماتيسر لنا في هذا الكتاب ، وما توفيقي إلا بالله ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعتُ أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .
وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أبوطلحة محمد يونس عبدالستار


الحمد لله رب العالمين